البحري

عبقرية وغربة وعمل

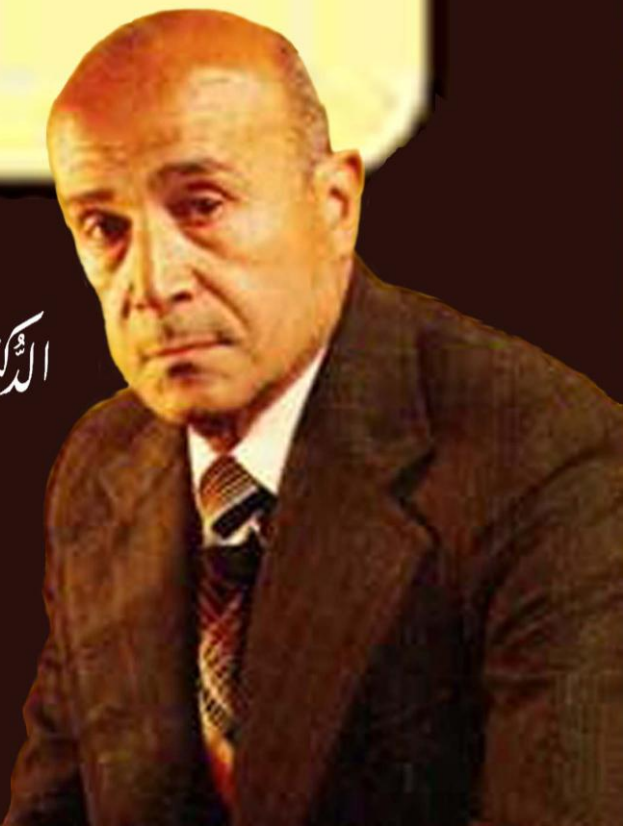

الدكتور عزيز سيد أحمد

دار الأهرام
2016

الدكتور عزت السيد أحمد

الدكتور عزت السيد أحمد

البحري

عبقرية وغربة وحنين

دار النهار
2016

دار أنهار للدراسات والترجمة والنشر

كل الحقوق محفوظة

تمنع طباعة هذا الكتاب أو بعضَه بأيِّ وسيلةٍ من وسائل الطِّباعةِ والنَّشر والإعلام من دون موافقةٍ خطيَّة من الناشر أو المؤلِّف

تطلب النسخة الورقية أو الإلكترونية من الناشر على البريد التالي

Sameah3@gmail.com

بيروت

٢٠١٦م

البحيري؛ عبقرية وغربة وجمال

الدكتور عزت السيد أحمد

١١٤ صفحة

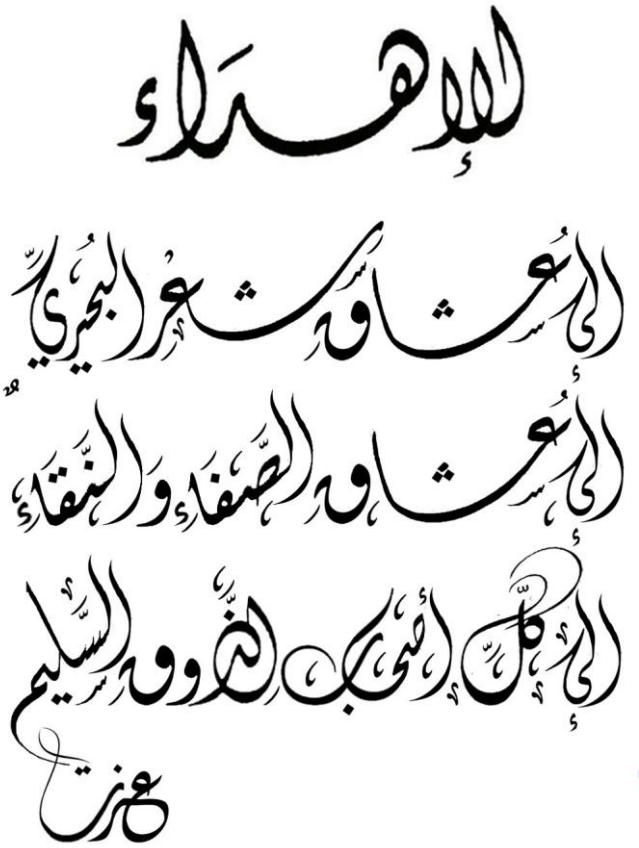
الإهداء
إلى عشاق شعر البحيري
إلى عشاق الصفاء والنقاء
إلى كل أصحاب الذوق السليم
عزت

إِذَا كَـانَ الغَـرْبُ ظَالِمـاً فِي تَقْـدِيْرِ الشِّـعْرِ العَـرَبِيِّ وَإِعْطَائِـهِ حَقَّـهُ فَلأَنَّـهُ ظَـالِمٌ وَجَاحِـدٌ بِطَبِيْعَتِـهِ تِجَـاهَ العَـرَبِ وَالإِسْـلامِ عَلَـىٰ نَحْـوٍ خَـاصٍّ وَتِجَـاهَ الشَّـرْقِ عَلَـىٰ نَحْـوٍ عَـامٍّ... وَلٰكِنَّنَـا قَرَأْنَـا أَشْـعَارَ الشُّـعُوْبِ الْمَاجِـدَةِ فِي الشِّـعْرِ وَقَرَأْنَـا تَـارِيْخَ الشِّـعْرِ العَـالَمِيِّ، وَقَرَأْنَـا شِعْرَنَا وَنَعْرِفُ قِيْمَتَهُ بَيْنَهَا جَمِيْعاً.

الْمَسْـأَلَةُ الَّـتِيْ أَوَدُّ أَنْ أَبْـدأَ بِهَـا هٰـذِهِ الْمُقَدِّمَـةَ هِـيَ أَنَّ هٰـذا الكِتَـابَ مُنْجَـزٌ جَـاهِزٌ لِلنَّشْـرِ فِيْ أَوَاخِـرِ عَـامِ ١٩٩٧م، وَكَـانَ فِيْ طَرِيْقِـهِ إِلَىٰ النَّشْـرِ فِيْ عَـامِ ١٩٩٨م. وَهُـوَ فِيْ الأَصْـلِ بَحْـثٌ مُطَـوَّلٌ نُشِـرَ فِي عَـام ١٩٩٢م، وَمُقَدِّمَـةٌ لِـدِيْوَانِ فِيْ مَرْسَـمِ الطَّيْعَـةِ الَّـذِيْ كَـانَ مُعَـدًّا لِلنَّشْـرِ فِي عَـامِ ١٩٩٧م.

شَـاءَ قَـدَرُ اللهِ تَعَـالَىٰ أَنْ يَتَـوَفَّى **حَسَـنُ الْبُحَيْـرِيُّ** فِي أَوَاخِـرِ عَـامِ ١٩٩٨م، وَيَنَـامُ الكِتَـابُ فِي الـدُّرْجِ هٰـذِهِ السَّـنَوَاتِ غَيْـرَ القَلِيْلَـةِ، فأُضِـيْفَتْ إِلَىٰ هٰـذا الْكِتَـابِ كَلِمَـتِيْ الَّـتِيْ أَلْقَيْتُهَـا فِيْ تَأْبِيْنِـهِ فِي الْمَرْكَـزِ الثَّقَـافِيِّ فِي مَدِيْنَـةِ مُعَضَّمِيَّةِ الشَّامِ.

الكِتَابُ كَمَا هُوَ بِنَصِّهِ وَحَرْفِهِ لَمْ يُدْخَلْ عَلَيْهِ أَيُّ تَطْوِيْلٍ أَوْ تَعْدِيْلٍ أَوْ إِضَافَةٍ سِوَى بَعْضاً مِنْ هٰذِهِ الْمُقَدِّمَةِ وَثَلاثَ نُصُوْصٍ فِيْ شَهَادَاتٍ فِي **البُحَيْرِيِّ** هِيَ نُصُوْصُ الأَسَاتِذَةِ: الدُّكْتُوْر **مُحَمَّد عَطَوَات وَرِياض نَعْسَان آغَا وَمَحْمُوْد حَامِد.**

عِنْدَمَا يَكُوْنُ عُنْوَانُ كِتَابٍ اسْمَ شَخْصٍ مُرْدَفاً بِعِنْوَانٍ شَارِحٍ هُوَ عَبْقَرِيَّةٌ وَغُرْبَةٌ وَجَمَالٌ فَمِنَ البَدَاهَةِ بِمَكَانٍ اسْتِنْتَاجُ أَنَّ هٰذا الشَّخْصَ عَاشَ مَظْلُوماً. اقْتِرَانُ العَبْقَرِيَّةِ بِالغُرْبَةِ يَعْنِيْ الْمُعَانَاةَ وَالأَ لَمْ وَيَعْنِيْ الظُّلْمَ بِالضَّرُوْرَةِ.

هٰذِهِ هِيَ خُلاصَةُ سِيْرَةِ **حَسَنَ البُحَيْرِيِّ** رَحِمَهُ الله تَعَالَى. تَارِيْخٌ مِنَ العَبْقَرِيَّةِ الخَلاقَةِ فِيْ صِنَاعَةِ الجَمَالِ وَظُلْمٌ طِيْلَةَ حَيَاتِهِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلىٰ آخِرِهَا.

لَمْ يَعْتَرِضْ قَطُّ عَلَىٰ قَضَاءِ الله وَقَدَرِهِ فَكَانَ مُؤْمِناً صَادِقاً وَلا أُزَكِّيْهِ عَلَىٰ الله فالله أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى. هٰكَذَا عَرَفْتُه وَهٰذا مَا أَشْهَدُ بِهِ. لا أَسْتَطِيْعُ القَوْلَ إِنْ كَانَ زَاهِداً بِالشُّهْرَةِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَسْعَ لَهُ، وَلَمْ يَسْتَعْرِضْ، وَلَمْ يُسَوِّقْ نَفْسَهُ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى اسْتِعْدَادٍ لِيَبْذَلَ نَفْسَهُ اسْتِجْلاباً للشُّهْرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ أَدْنَى اسْتِعْدَادٍ لاسْتِرْخَاصِ ذَاتِهِ أَمَامَ جَلاوِزَةِ الإِعْلامِ وَالنَّقْدِ لِيُقَدِّمُوْهُ وَيَنْفُخُوْهُ مِثْلَمَا يَفْعَلُوْنَ بِوَلِيْمَةٍ أَوْ شِبهِهَا، لَمْ يَكُنْ لَدَيْهِ اسْتِعْدَادٌ لِيَتَحَزَّبَ هُنَا أَوْ هُنَاكَ لِيَتَبَنَّاهُ الْحِزْبُ وَيُقَدِّمَهُ لِلجُمْهُوْرِ.

لا أَعْنِيْ بِذٰلِكَ أَنَّ كُلَّ الْمَشْهُوْرِيْنَ مِنْ هٰذا الطِّرَازِ الرَّخِيْصِ أَو الْمُبْتَذَلِ، وَلٰكِنَّهُمْ أَكْثَرُهُمْ فِي زَمَانِنَا كَذٰلِكَ، وَكَذٰلِكَ عَلَىٰ حِسَابِ الْمُبْدِعِيْنَ الكِبَارَ وَالْحَقِيْقِيِّيْنَ الَّذِينَ تَمَّ تَغْيِيْبُهُمْ لِمَا سَلَفَ وَما سَيَلْحَقُ.

لا يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ الْمُبْدِعَ لا يُرِيْدُ الشُّهْرَةَ أَوْ لا يَبْحَثُ عَنْهَا. وَلٰكِنَّ الْمُبْدِعَ يُرِيْدُ الشُّهْرَةَ غَالِباً مِنْ أَجْلِ إِيْصَالِ إِبْدَاعِهِ وَرُؤْيَةِ تَعَابِيْرِ

الجُمْهُـوْرِ وَرَدَّاتِ أَفْعَـالِهِم تِجَاهَهَـا... وَمِـنْ أَجْـلِ أَنْ يَقُـوْمَ إِبْدَاعُـهُ بِالغَايَـةِ الَّـتِي أَنَاطَهَا الْمُبْدِعُ بِهِ.

فَرِيْقٌ آخَرُ مِنَ الْمُبْدِعِيْنَ يُبْدِعُ مِنْ أَجْلِ الشُّهْرَةِ ذَاتِهَا لا مِنْ أَجْلِ أَيِّ هَدَفٍ إِبْدَاعِيٍّ. الشُّهْرَةُ عِنْدَهُمْ هِيَ الهَدَفُ، وَالاسْتِمْتَاعُ بِالشُّهْرَةِ هُوَ الغَايَةُ. لا يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ إِبْدَاعَهُمْ تَافِهٌ أَوْ قَلِيْلُ القِيْمَةِ أَوْ غَيْرُ ذَلكَ مِمَّا يُشْبِهُهُ...

حَسَنُ البُحَيْرِيُّ كَانَ مِنَ الفَرِيْقِ الأَوَّلِ بِكُلِّ تَأكِيْدٍ. لَمْ يَكُنْ يُرِيْدُ الشُّهْرَةَ لِيَنْعُمَ بِنَعِيْمِهَا ذَاتِهَا بِمَا هِيَ شُهْرَةٌ وَمَا لَهَا مِنْ مَظَاهِرَ.

البحيري وَكَثِيْرُوْنَ كُنْتُ مِنْهُمْ يُعَوِّلُ عَلَىٰ قَادِمِ الأَيَّامِ فِيْ الإِنْصَافِ. وَقَدْ قَالَ **البُحَيْرِيُّ** فِي بَيْتِ شِعْرٍ: «سَيُنْصِفُنِي الآتِيْ بِمَا أَنَا أَهْلُهُ»، وَقَالَ الكَثِيْرُوْنَ: لا بُدَّ للحَقِّ أَنْ يَنْتَصِرَ وَلا بُدَّ لِلمَظْلُوْمَ أَنْ يَنْتَصِفَ، وَلا بُدَّ ولا بُدَّ... وَكُلُّهُ فِيْمَا يَبْدُوْ لِي إِنْشَاءٌ مِنْ مَحْضِ الْخَيَالِ وَنَشْوَةِ الأَمَلِ.

نَعَمْ، الحَقُّ حَقٌّ وَلَوْ أَنْكَرَهُ كُلُّ الخَلَق. وَلٰكِنَّ الفَرْقَ كَبِيْرٌ بَيْنَ أَنَّ صَاحِبَ الحَقِّ نَالَ حَقَّهُ فِي وَقْتِهِ فِي هٰذه الدُّنْيَا وَأَنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ سَيَنَالُ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ بَعْدَ مَوْتِهِ هٰذا الْحَقَّ. وَلا أُبَالِغُ إِذَا قُلْتُ إِنَّ شَاعِراً أَوْ مُبْدِعاً كَبِيْراً عَاشَ مَظْلُوْماً فِي حَيَاتِهِ هَيْهَاتَ يَبْلُغُ مَا يَسْتَحِقُّ بَعْدَ مَمَاتِهِ. فِيْ عَصْرِ **الْمُتَنَبِّي** كَثِيْرٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ الكِبَارِ مَاتَوا وَمَاتَ ذِكْرُهُمْ وَمَهْمَا أَنْصَفَهُمُ النُّقَّادُ وَقَدَّمُوْهُمْ للجُمْهُوْرِ لَنْ يَبْلُغُوا مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَبْلُغُوْهُ فِي حَيَاتِهِمْ... وَبَقِيَ **الْمُتَنَبِّي** سَيِّدَ عَصرِهِ إِلىٰ أَيَّامِنَا هٰذهِ. وَمِثْلُ ذَلكَ فِي عَصْرِنَا الَّذِيْ عَاشَ فِيْهِ **البُحَيْرِيُّ** فَقَدْ بَرَزَ كَثِيْرٌ مِنَ الأَقْزَامِ مُقَارَنَةً مَعَهُ مَا زَالُوا نُجُوْمَ الإِعْلامِ عَلَىٰ كُلِّ مَا تَعَرَّضُوا لَهُ مِن انْفِضَاحٍ وَظَلَّ **البُحَيْرِيُّ** مَغْمُوْراً بَعْدَ نَحْوٍ مِنْ عِشْرِيْنَ سَنَةً مِنْ وَفَاتِهِ... مَاتَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُن. فَمَاذا يُمْكِنُ أَنْ تَجْلِبَ لَهُ قَادِمَاتُ الأَيَّامِ مِنْ مُفَاجَآتٍ؟! لا شيء.

عَاشَ غَرِيْباً وَمَاتَ غَرِيْباً وَسَيَظَلُّ غَرِيْباً.

هَلْ هُوَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ؟

لا نَسْتَطِيْعُ البَتَّ فِيْمَنِ السَّبَبُ بِالْمُطْلَقِ. الْمُؤَكَّدُ أَنَّهُ أَرَادَ وَسَعَى. وَالْمُؤَكَّدُ أَنَّ التَّارِيْخَ لَهُ خِيَارَاتُهُ وَمُصَادَفَاتُهُ الَّتِي تَخْرُجُ عَنْ نِطَاقِ السَّيْطَرَةِ. وَهُنَاكَ فِي عَصْرِنَا، وَثَمَّةَ نَظِيْرٌ لَهَا فِي العُصُوْرِ السَّابِقَةِ، وَسَائِلُ الإِعْلامِ الانْتِقَائِيَّةِ (وَالشُّلَلِيَّةُ) وَالأَيدِيوْلُوْجِيا الْمُهَيْمِنَةِ عَلَىٰ وَسَائِلِ الإِعْلامِ وَالنَّشْرِ...

كُلُّ ذَلِكَ عَوَامِلٌ سَاهَمَتْ فِي تَهْمِيْشِ **البُحَيْرِيِّ** وَمُحَاصَرَتِهِ فِي ظُهُوْرِهِ وَاشْتِهَارِهِ. لا يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّ **البُحَيْرِيَّ** غَيْرُ شَهِيْرٍ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، وَلٰكِنَّ اشْتِهَارَهُ أَقَلُّ بِكَثِيْرٍ مِمَّا يَسْتَحِقُّ، وَأَقَلَّ بِكَثِيْرٍ مِنْ كَثِيْرٍ مِمَّن اشْتُهِرَ وَهُوَ أَقَلُّ مِنْهُ كَفَاءَةً وَقُدْرَةً وَمَوْهِبَةً وَإِبْدَاعاً.

أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِيْنَ سَنَةً **وَالبُحَيْرِيُّ** مُدِيْرُ البَرَامِجِ الثَّقَافِيَّةِ فِيْ الرَّدِايُو السُّوْرِيِّ عِنْدَمَا كَانَ الرَّادِيُو أَكْثَرَ وَسَائِلِ الإِعْلامِ أَهَمِّيَّةً عَلَىٰ الإِطْلاقِ. لَمْ يَسْتَثْمِرِ **البُحَيْرِيُّ** عَمَلَهُ وَمَنْصِبَهُ فِي هٰذا الْمَكَانِ الْمُهِمِّ جِدًّا، وَلَوْ فَعَلَ لَكَانَ أَشْهَرَ مِنْ أَشْهَرِ الأَعْلامِ عَلَىٰ الإِطْلاقِ...

كَانَ يَشْعُرُ بِالحَيَاءِ وَالخَجَلِ مِن اسْتِثْمَارِ عَمَلِهِ لِشَخْصِهِ عَلَىٰ اسْتِحْقَاقِهِ. خِلافَ الكَثِيْرِيْنَ جِدًّا فِيْ مِثْلِ مَوْقِعِهِ أَوْ أَقَلِّ مِنْ ذَلِكَ بِكَثِيْرٍ، الَّذِيْنَ حَوَّلُوا وَظِيْفَتَهُمْ إِلَىٰ قَاعِدَةِ انْطِلاقٍ لَهُمْ، وَإِلَىٰ تَحَكُّمٍ بِالنُّقَّادِ وَالأُدَبَاءِ وَالإِعْلامِيِّيْنَ كَيْ يَفْرِضُوا عَلَيْهِمْ بِلا حَيَاءٍ أَنْ يَكْتُبُوا عَنْهُمْ وَيَتَحَدَّثُوا عَنْهُمْ وَيَسْتَضِيْفُوْهُمْ فِي مَوَائِدِ الثَّقَافَةِ...

هٰذِهِ هِيَ الْحَقِيْقَةُ الَّتِيْ نَعِيْشُهَا مُنْذُ أَوَاخِرِ السَّبْعِيْنِيَّاتِ فِي القَرْنِ الْمَاضِيْ، مُنْذَ تَقَاعَدَ **البُحَيْرِيُّ** فِي عَامِ ١٩٧٨م تَقْرِيْباً بَدَأَتْ ظَاهِرَةُ

اسْـتِثْمَارِ الْمَنْصِـبِ وَتَسْـخِيْرِهِ لِلْمَصَـالِحِ الشَّخْصِـيَّةِ فِي الإِعْـلامِ العَـرَبِيِّ وَالأَدَبِ العَـرَبِيِّ عَامَّـةً. لا نَسْـتَطِيْعُ القَـوْلَ بِعَـدَمِ وُجُوْدِهَـا مِـنْ قَبْـلُ ولٰكِـنَّ هٰـذا الوُجُـوْدَ كَـانَ مَحْـدُوْداً جِـدًّا. بَعْـدَ ذٰلـكَ الحِـيْنِ صَـارَ شِـبْهَ قَاعِـدَةٍ؛ الأَدِيْـبُ أَوِ الْمُبْـدِعُ الَّـذِيْ يَحْتَـلُّ مَنْصِـباً هُـوَ الَّـذِيْ يَحْصُـدُ الْمَجْـدَ وَالشُّـهْرَةَ. يَحْصُـدُ الْمَجْـدَ وَالشُّـهْرَةَ لأَنَّـهُ هُـوَ ذَاتُـهُ يَفْـرِضُ ذٰلـكَ عَلَـىٰ الإِعْلامِيِّـيْنَ وَعَلَـىٰ النُّقَّـادِ غَصْباً عَنْهُمْ بِطَرِيْقَةٍ أَو بِأُخْرَىٰ.

فِيْ ظِلِّ هٰذا الْمُنَاخِ بَدأَ ظُهُوْرُ الْمُنَافِقِيْنَ وَالْمُتَسَلِّقِيْنَ لأَنَّهُمُ الأَقْدَرُ عَلَىٰ تَمْسِيْحِ الْجُوْخِ وَرُكُوْبِ الْمَوْجَةِ وَالْكَذِبِ وَالنِّفَاقِ وَنَعْتِ الصِّغارِ بِصِفَاتِ الْكِبَارِ، وَاعْتِبَارِ الغُثَاءِ غِنًى وَإِبْدَاعاً.

وَفِيْ ظِلِّ هٰذا الْمُنَاخِ صَارَ ضِعَافُ النُّفُوْسِ مِنَ الْمُبْدِعِيْنَ يَتَسَابَقُوْنَ عَلَىٰ الْمَنَاصِبِ وَيُقَدِّمُوْنَهَا عَلَـىٰ الإِبْـدَاعِ سَـعْياً وَرَاءَ الشُّـهْرَةِ لأَنَّهُـمْ إِنْ لَمْ يَكُوْنُـوا فِي مَنْصِبٍ لَنْ يَنَالُوا مَا يَسْتَحِقُّوْنَ مِنْ شُهْرَةٍ وَمَكَانَةٍ وَتَقْدِيْرٍ.

وَفِيْ ظِلِّ هٰـذهِ الظُّرُوْفِ تَقَـدَّمَ الْمُنَـافِقُوْنَ وَالْمُتَسَـلِّقُوْنَ وَالأَدْعِيَـاءُ لَيَحْتَلُّـوا الْمَرَاتِبَ الْمُتَقَدِّمَةَ فِي الْمَنَاصِبِ وَالشُّهْرَةِ والسيطرة علىٰ وَسَائِلِ الإِعْلامِ وَأَدَوَاتِ الثَّقَافَةِ لأَنَّ الْمُبْدِعِيْنَ الْحَقِيْقِيِّيْنَ ابْتَعَدُوا عَنْ هٰذهِ الْمَنَاصِبِ وَمُهَاتَرَاتِهَا وَالتَّنَازُلاتِ عَنِ الْمَبَادِئَ فِيْ ظِلِّ السِّبَاقِ عَلَىٰ الْمَنَاصِبِ تَحْتَ سَقْفِ مَا يُسَمَّى الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ الَّتِي مَا كَانَتْ حَقِيْقِيَّةً مِنْ جِهَةٍ أُوْلَى وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ حَقِيْقِيَّةً فَإِنَّهَا تُعَبِّرُ عَنْ رَأيِ الأَكْثَرِيَّةِ، وَأَيُّ أَكْثَرِيَّةٍ هٰذه وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُوْنَ؟

فِي ظِلِّ هٰـذهِ الظَّرُوْفِ وَالْمُعْطَيَـاتِ ضَـاعَ الإِبْـدَاعُ وَضَـاعَ الْمُبْـدِعُوْنَ، وَلا أَتَحَدَّثُ عَـنِ الأَدْعِيَـاءِ، وَآلَـتِ الأُمُوْرُ إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِهَـا وَصَـارَتِ السَّفَاسِـفُ تُسَـمَّى إِبْـدَاعاً وَيُسَـمَّى الإِبْـدَاعُ هَرْطَقَـةً وَتَخَلُّفـاً وَرَجْعِيَّـةً وَتَقْلِيْدِيَّـةً وَهَلُـمَّ جَـرًّا مِـنْ هٰـذهِ

الاصْـطِلاحَاتِ، لِتَظْهَـرَ فِي الْمُقَابِـلِ اصْـطلاحَاتٌ جَوْفَـاءَ لِتَمْرِيْـرِ السَّـفَاهَاتِ وَالسَّفَاسِـفِ عَلَـىٰ أَنَّهـا إِبْـدَاعٌ، وَهٰـذِهِ الاصْـطلاحَاتُ كَثِيْـرَةٌ تَجِـدُهَا فِي أَيِّ نَـصٍّ نَقْدِيٍّ فِي هٰذِهِ الأَيَّامَ فَقَدْ فَرَضَتْ ذَاتَهَا بِضِاعَةً وَأَدَوَاتٍ نَقْدِيَّةً وَإِبْدَاعِيَّةً فِي هٰذِهِ الأَيَّـامِ بِسَـبَبِ هَيْمَنَـةِ أَدْعِيَـاءِ الإِبْـداعِ وَأَدْعِيَـاءِ النَّقْـدِ عَلَـىٰ السَّـاحَةِ الثَّقَافِيَّـةِ وَالإِبْدَاعِيَّةِ وَالإِعْلامِيَّةِ فِي عَالَمِنَا العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ عَلَىٰ نَحْوٍ خَاصٍّ. وَلَيْسَ الْمُنَاخُ العَالَمِيُّ بِمَنَأَى عَنْ هٰذِهِ الحَدَاثَوِيَّةِ فَهُوَ أَبْرَزُ مَصَادِرِهَا.

لا نُرِيْدُ أَنْ نُطِيْلَ الكَلامَ فِيْ هٰذا الْمَوْضُوْعِ فَهُوَ طَوِيْلٌ، رُبَّمَا كَانَ لا بُدَّ مِنْهُ فِي سِيَاقِ التَّقْدِيْمِ لِكِتَابٍ عَنْ **حَسَنِ الْبُحَيْرِيِّ** الشَّاعِرِ العَبْقَرِيِّ الَّذِيْ عَاشَ غَرِيْباً بَيْنَ أَهْلِهِ عَلَىٰ كُلِّ مَا قَدَّمَ وَعَزَمَ عَلَىٰ تَقْدِيْمِهِ، وَعَلَىٰ كُلِّ البَوْنِ الشَّاسِعِ بَيْنَه وَبَيْنَ مَنْ حَلَّقُوا فِي عَالَمِ الشُّهْرَةِ فِيْ القُدْرَةِ الإِبْدَاعِيَّةِ وَالإِخْلاصِ وَالصِّدْقِ وَرَوْعَةِ النِّتَاجِ الإِبْدَاعِيِّ... كُلُّ ذَلكَ بِسَبَبِ هٰذِهِ الظَّاهِرَةِ الَّتِيْ حَكَمَتْ وَاسْتَحْكَمَتْ فِي عَالَمِ الإِبْدَاعِ فِي العَالَمِ العَرَبِيِّ وَالإِسْلامِيِّ.

بَـلْ إِنَّ هَـؤُلاءِ الأَدْعِيَـاءُ ابْتَـدَعُوا مَـا يُسَـمُّوْنَهُ نَظَرِيَّـاتٍ إِبْدَاعِيَّـةً وَنَقْدِيَّـةً سَـاقِطَةً أَسْـقَطُوا مِـنْ خِلالِهَـا الإِبْـدَاعَ الْحَقِيْقِـيَّ، كَمَـا أَلْمَحْنَـا، لِيُسَـوِّغُوا تَغْيِيْـبَ الْمُبْـدِعِ الْحَقِيْقِـيِّ وَتَهْمِيْشِـهِ وَصَـلَتْ بِهِـمْ إِلىٰ الطَّعْـنِ فِيْ شِـعْرِيَّةِ **الْمُتَنَبِّـيْ** ذَاتِـهِ **وَامْـرِئِ القَـيْسِ**، وَمِـنْ ثَمَّ بَـاتَ بَعْـدَهُمَا لا يَوْجَـدُ شِـعْرٌ عَـرَبِيٌّ، وَكُـلُّ مَـا مَضَـى مِـنْ شِـعْرِ العَـرَبِ لَـيْسَ شِـعْراً وَلا قِيْمَـةَ لَـهُ... كَيْـفَ لا وَلَـيْسَ **الْمُتَنَبِّيْ** شَاعِراً وَلا عَلاقَةَ لَهُ بِالشِّعْرِ؟!

مِـنْ شِـدَّةِ خِسَّـتِهِمْ وَنَـذَالَتِهِمْ طَعَنُـوْا فِي الشِّـعْرِ العَـرَبِيِّ الَّـذِيْ هُـوَ أَعْظَـمُ شِـعْرٍ فِي تَـارِيْخِ الشُّـعُوْبِ كُلِّهِـا عَلَـىٰ الإِطْـلاقِ وَأَرْوَعُ شِـعْرٍ وَأَعْـرَقُ شِعْرٍ وَأَكْمَـلُ شِـعْرٍ عَبْـرَ تَـارِيْخِ البَشَـرِ... هٰـذا لَـيْسَ تَعَصُّباً وَلا مِـنْ أَيِّ بَـابٍ

مِـنْ أَبْـوَابِ التَّعَصُّـبِ عَلـىٰ الإِطْـلاقِ، هٰـذِهِ هِـيَ الْحَقِيْقَـةُ. إِذَا كَـانَ الغَـرْبُ ظَالِمـاً فِي تَقْـدِيْرِ الشِّـعْرِ العَـرَبِيِّ وَإِعْطَائِـهِ حَقَّـهُ فَلأَنَّـهُ ظَـالِمٌ وَجَاحِـدٌ بِطَبِيْعَتِـهِ تِجَـاهَ العَـرَبِ وَالإِسْـلامِ عَلَـىٰ نَحْـوٍ خَـاصٍّ وَتِجَـاهَ الشَّـرْقِ عَلَـىٰ نَحْـوٍ عَـامٍّ... وَلٰكِنَّنَـا قَرَأْنَـا أَشْـعَارَ الشُّـعُوْبِ الْمَاجِـدَةِ فِي الشِّـعْرِ وَقَرَأْنَـا تَـارِيْخَ الشِّـعْرِ العَالَمِيِّ، وَقَرَأْنَا شِعْرَنَا وَنَعْرِفُ قِيْمَتَهُ بَيْنَهَا جَمِيْعاً.

ثَلاثَةُ مَوْضُوْعَاتٍ تَضَمَّنَهَا الْكِتَابُ هِيْ عَبْقَرِيَّةُ **البُحَيْرِيِّ** وَاغْتِرَابُهُ وَبَرَاعَتُهُ فِي صِنَاعَةِ الْجَمَالِ فِي الشِّعْرِ. وَعَلَىٰ هٰذا الأَسَاسِ انْقَسَمَ الكِتَابُ إِلَىٰ سَبْعَةِ فُصُوْلٍ هِيَ:

الفَصْلُ الأَوَّلُ: سِيْرَةٌ وَتَارِيْخٌ.

الفَصْلُ الثَّانِيْ: البُحَيْرِيُّ عَبْقَرِيَّةٌ فَرِيْدَةٌ.

الفَصْلُ الثَّالِثُ: البُحَيْرِيُّ الغَرِيْبُ بَيْنَ أَهْلِهِ.

الفَصْلُ الرَّابِعُ: البُحَيْرِيُّ صَانِعُ الْجَمَالِ.

الفَصْلُ الْخَامِسُ: عَاشَ غَرِيْباً وَمَاتَ غَرِيْباً.

الفَصْلُ السَّادِسُ: شَهَادَاتٌ فِيْ البُحَيْرِيِّ.

الفَصْلُ السَّابِعُ: أَشْعَارٌ فِي البُحَيْرِيِّ.

وَهٰذِهِ الْمُقَدِّمَةُ تَسْبِقُ هٰذِهِ الفُصُوْلَ. وَالَّذِيْ تَجْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ هُوَ أَنَّ مَا قَـدَّمْنَاهُ فِي فُصُـوْلِ الكِتَـابِ وَمَوْضُـوْعَاتِهِ غَـيْضٌ مِـنْ فَـيْضٍ يَسْـتَحِقُّ الْمُتَابَعَـةَ وَالتَّوَسُّعَ. كُلُّ مَوْضُوْعٍ مِنْ مَوْضُوْعَاتِ الكِتَابِ يَسْتَحِقُّ مُتَابَعَةً وَتَوَسُّعاً وَإِغْنَاءً؛ مَا زَالَ فِيْ عَبْقَرِيَّتِهِ الكَثِيْرُ مِمَّا يُمْكِنُ أَنْ يُبْحَثَ وَيَقَالَ، وَمَا زَالَ فِي غُرْبَتِهِ وَالظُّلْمِ الَّذِيْ عَاشَهُ وَتَعَرَّضَ لَهُ مَا يَسْتَحِقُّ التَّوَسُّعَ وَالتَّفْصِيْلَ، وَفِيْ جَمَالِيَّاتِ شِعْرِهِ الْكَثِيْرُ الْكَثِيْرُ.

كَتَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ **البُحَيْرِيِّ** مَقَالاتٍ وَأَبْحَاثاً وَكُتُباً، وَكَانَ هٰذَا الكِتَابُ خُطْوَةً عَلَىٰ الطَّرِيْقِ... خُطْوَةً لا أَكْثَرَ... خُطْوَةً نَحْوَ الإِنْصَافِ الَّذِيْ مَهْمَا بَلَغَ لَنْ يَكُوْنَ عَلَىٰ قَدْرِ مَا كَانَ يَسْتَحِقُّهُ حَيًّا. وَالْحَمْدُ لله تَعَالَىٰ أَنَّهُ قَرَأَهُ قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَىٰ رَحْمَةِ الله تَعَالَىٰ وَفَرِحَ بِهِ، وَكَانَ يَنْتَظِرُ رُؤْيَتَهُ مَنْشُوْرًا، لَولا أَنَّ القَضَاءَ وَالقَدَرَ كَانَا أَسْبَقَ إِلَىٰ نَقْلِهِ إِلَىٰ جِوَارِ الرَّحْمَانِ قَبْلَ ذَلكَ.

خِتَامُ هٰذِهِ الْمُقَدِّمَةِ سَيَكُوْنُ لِمَسْأَلَةٍ مُلْفِتَةٍ فِيْ هٰذا الْكِتَابِ وَهِيَ ضَبْطُهُ الكَامِلِ بِالشَّكْلِ. الْحَقِيْقَةُ أَنِّيْ أَنْجَزْتُ الكِتَابَ لِلنَّشْرِ فِي فَتْرَةِ إِعْدَادِ أُطْرُوْحَتِيْ لِنَيْلِ الدُّكْتُوْرَاه، الَّتِيْ حَضَرَ مُنَاقَشَتَهَا الأُسْتَاذُ **البُحَيْرِيُّ** مَعَ الأُسْتَاذِ عَبْدِ الْمُعِيْنِ الْمَلُوْحِيِّ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ كِلَيْهِمَا كَانَ مَرِيْضاً جِدًّا حِيْنَهَا. وَقَدْ ضَبَطْتُ الأُطْرُوْحَةَ كَامِلَةً بِالشَّكْلِ لأَسْبَابٍ شَخْصِيَّةٍ وَخَاصَّةٍ وَأَحْبَبْتُ أَنْ أَسِيْرَ عَلَىٰ هٰذا الْهَدِيِ فِي هٰذا الكِتَابِ، وَأَقَلَّ مِنْهِ فِي بَاقِيْ كُتُبِي الَّتِيْ صَدَرَتْ مُنْذُ ذَلكَ الحِيْنِ. وَلِذَلك اقْتَضَى التَّنْوِيْهُ.

الفصل الأول

البحري سيرة وتاريخ

حَسَنُ البُحَيْرِيِّ وَاحِدٌ مِنْ أَكْثَرِ الشُّعَرَاءِ العَرَبِ أَهَمِّيَّةً فِي القَرْنِ العِشْرِيْن. مِنْ أَكْثَرِهِمْ أَهَمِّيَّةً فِي القِيْمَةِ الشِّعْرِيَّةِ وَالْمَوْهِبَةِ وَالكَفَاءَةِ وَلَيْسَ مِنْ جِهَةِ الشُّهْرَةِ الَّتِيْ رَفَعَتْ شُعَرَاءَ أَوْ أَدْعِيَاءَ مَقَامَاتٍ كَبِيْرَةً وَكَثِيْرَةً مِنْ دُوْنِ اسْتِحْقَاقٍ، وَبَعْضُهُمُ اسْتَحَقَّ ذَلِكَ عَنْ جَدَارَةٍ. لَنْ نَذْكُرَ هُنَا مِنَ الأَسْمَاءِ أَحَداً فَلَيْسَ هٰذا مَكَانُ الأَمْرِ وَلا مَقَامَهُ، وَلَسْنَا فِي صَدَدِ تَقْوِيْمِ الشُّعَرَاءِ وَقِيَمَهِمْ.

لَمْ يَكُنِ **البُحَيْرِيُّ** قَلِيْلَ الشُّهْرَةِ بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَحْظَ بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنْهَا، وَلَمْ يَحْظَ لِذَلِكَ ولغيره بِمَا يَسْتَحِقُّ مِنَ الاهْتِمَامِ وَالتَّقْدِيْرِ وَالتَّكْرِيْمِ وَالاحْتِفَاء.

في سيرة البحيري

عَاشَ **البُحَيْرِيُّ** عُمْرَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَىٰ آخِرِهِ مَظْلُوْماً مَهْضُوْمَ الْحُقُوْقِ... وَمَاتَ فِي ظِلِّ هٰذا الظُّلْمِ وَالتَّهْمِيْشِ. وَأَنْ يَنَالَ وِسَامَ القُدْسِ؛ وِسَامَ الدَّوْلَةِ الفِلِسْطِيْنِيَّةِ فِي عَامِ ١٩٩٠م لا يَعْنِيْ فِيْ الْحَقِيْقَةِ شَيْئاً لأَنَّهُ

وَلْـنَكُنْ وَاضِـحِيْنَ وِسَـامٌ تَقْلِيْـدِيٌّ، رَفْـعُ عَتَـبٍ لا تَقْـدِيْراً وَلا اسْـتِحْقَاقاً عَلَـىٰ اسْتِحْقَاقِهِ لَهُ وَأَكْثَرَ مِنْهُ بِكَثِيْرٍ.

عَرَفْتُـهُ فِي أَوَاسِـطِ الثَّمَانِيْنِيَّـاتِ وَظَلَلْـتُ عَلَـىٰ تَوَاصُـلٍ مَعَـهُ حَـتَّىٰ وَفَاتِـهِ. لَمْ أَكُـنْ بِدِمَشْـقَ فَتْـرَةَ وَفَاتِـهِ وَحَـتَّىٰ نِهَايَـةِ العَـزَاءِ، وَلٰكِـنَّنِيْ عَرَفْـتُ تَنَاهُـبَ تُرَاثِـهِ وَإِرْثِـهِ وَرَمْـيَ وَصِـيَّتِهِ فِيْ سَـلَّةِ القُمَامَـةِ... وَضَـاعَتْ كُتُبُـهُ وَمَكْتَبَتُـهُ وَتَبَخَّـرَتْ مَخْطُوْطَاتُـهُ الَّـتِيْ لَمْ تُنْشَـرْ وَهِـيَ غَيْـرُ كَثِيْـرَةٍ عَلَـىٰ أَيِّ حَـالٍ لأَنَّـهُ كَـانَ عَاكِفـاً عَلَـىٰ الـدَّوَامِ فِيْ نَشْـرِ الْجَدِيْـدِ الْمُجْتَمِـعِ عِنْـدَهُ. وَمَـعَ ذٰلِـكَ بَقِيَـتْ نَحْـوُ سَـبْعِ مَخْطُوطَـاتٍ تَنْتَظِـرُ الإِفْـرَاجَ عَنْهَـا أَوْ أَنْ تَأْخُـذَ طَرِيْقَهَـا إِلَىٰ النَّشْـرِ مِنْهَـا الْمَجْمُـوْعُ بِطَرِيْقَـةٍ جَدِيْـدَةً أَوْ مُنَاسَـبَةٍ جَدِيْـدَةٍ وَهِـيْ مَخْطُوْطَـانِ مِنْهُمَـا حَبِيْبَـتِي حَيْفَـا، وَمِنْهَـا مَـا لَمْ يُنْشَـرْ مِـنْ قَبْـلُ مِثْـلَ هَشِـيْمِ الْحَصَـادِ أَوْ حَصَـادِ الْهَشِـيْمِ الاسْـمِ الَّـذِيْ ظَـلَّ حَـائِراً فِيْـهِ بَـيْنَ السَّـابِقَيْنِ وَحَـتَّىٰ غَيْرِهِمَـا وَمَـاتَ وَلَمْ أَعُـدْ أَعْـرِفُ بَعْـدُ مَـاذَا حَـلَّ فِيْـهِ وَهُـوَ مَنْسِـيَّاتُ أشعاره وَمُتَنَاثِرَاتُهَـا الَّـتِي كُتِبَـتْ عَلَـىٰ مَـدَارِ عُمْـرِهِ وَلَمْ تَجِـدْ مَكَانـاً مُنَاسِـباً فِيْ مَنْشُـوْرَاتِهِ، وَمِنْهَـا دِيْـوَانُ شِـعْرٍ: بَـاقُوْنَ يَـا بَيْـرُوْتُ. وَمِمَّـا لَمْ يُنْشَـرْ مَجْمُوْعَـةُ قِصَـصٍ مُتَرْجَمَـةٍ عَـنِ الإِنْجِلِيْزِيَّـةِ (أَوَّلُ طَيَرَانِـهِ)، وَمَجْمُوْعَـةٌ شِـعْرِيَّةٌ فِيْ النَّقْـدِ السِّيَاسِـيِّ لاَ أَعْـرِفُ إِنْ أَعْطَاهَـا اسْمـاً أَمْ لا. وَمِنْهَـا أَحْـلامُ البُحَيْـرَةِ، وَهُـوَ نَثْـرٌ فَـنِّيٌّ، يُسَـمُّوْنَهُ شِـعْراً حَـدِيْثاً أَوْ رُبَّمَـا مِـنَ الشِّـعْرِ الْحُـرِّ، فَلَـمْ أُطَّلِـعْ عَلَيْـهِ. وَلٰكِنَّـهُ عَلَـىٰ أَيِّ حَـالٍ آثَـرَ تَسْـمِيَتَهُ بِـالنَّثْرِ الفَـنِّيِّ. وَأَخِـيْراً كِتَـابُ بِلادِنَـا لَنَـا الَّـذِيْ هُـوَ تَعْلِيْقَـاْت سِيَاسِـيَّةٌ كَتَبَهَـا وَأَذَاعَهَا مِنْ إِذَاعَةِ دِمَشْقَ بَعْدَ نَشْرَةِ الأَخْبَارِ الرَّئِيْسَةِ عَامَ ١٩٥٧م.

أَكْثَـرُ هٰـذِهِ الآثَـارِ الْمَخْطُوْطَـةِ، وَمَـا تَمَّ نَشْـرُهُ فِي السَّـنَوَاتِ الأَخِـيْرَةِ مِـنْ عُمْـرِهِ، كَـانَ نَتِيْجَـةَ إِلْحَـاحِيْ عَلَيْـهِ أَنْ لا يَتْـرُكَ شَـيْئاً مِـنْ آثَـارِهِ إِلاَّ

وَيَنْشُرَهُ... قُلْتُ لَهُ غَيْرَ مَرَّةٍ مُنْذُ بِدَايَاتِ تَعَارُفِنَا بَتَعْنِيْفٍ صَرِيْحٍ: لِمَنْ سَتَتْرُكُ هٰذِهِ الآثَارُ بَعْدَ مَوْتِكَ؟ مَنْ سَيَنْشُرُهَا لَكَ؟ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ لَكَ أَوْلادٌ فَإِنَّهُم سَيُلْقُوْنَهَا فِيْ الْمُهْمَلاتِ لأَنَّهُ لا أَحَدَ يَعْرِفُ قِيْمَةَ أَدَبِكَ مِثْلَكَ... مثل أي مبدع... انظر إلىٰ فلان وفلان ماذا صار بمخطوطاتهم بعد موتهم وأين هي؟!... وهٰكَذَا مِنْ هٰذا القَبِيْلِ. وَمُنْذَ ذَلِكَ الْحِيْنِ أَخَذَتْهُ الْحَمَاسَةُ وَصَارَ يَبحَثُ فِيْ مَخْطُوْطَاتِهِ وَآثَارِهِ وَيَجْمَعُهَا، وَسُرْعَانَ مَا صَارَ يُصْدِرُ كُلَّ عَامٍ عَمَلاً، وَقَبْلَ سَنَةٍ مِنْ وَفَاتِهِ رُحْتُ أَزِيْدُ فِي إِلْحَاحِيْ عَلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ عَقْلِيَّةِ الرَّتَابَةِ هٰذِهِ وَيَنْشُرَ أَكْثَرَ مِنْ عَمَلٍ فِي العَامِ... كُنْتُ أَقُوْلُ لَهُ: أَسْرِعْ فَلا تَدْرِيْ مَتَىٰ تَمُوْتُ... أَسْرِعْ، وَاقْتَنَعَ بَعْدَ إِلْحَاحٍ أَوْ خَضَعَ ولٰكِنَّ قَدَرَهُ لَمْ يُمْهِلْهُ فَمَاتَ عِنْدَمَا دَفَعَ كِتَابَيْنَ للنَّشْرِ فَذَهَبَا إِلَىٰ الرَّقَابَةِ وَعَادَا بِالْمَوَافَقَةِ ولٰكِنَّهَا فِيْ حُدُوْدِ عِلْمِيْ لَمْ يَذْهَبَا إِلَىٰ الْمَطْبَعَةِ إِذْ تُوُفِّيَ قَبْلَ ذَلِكَ.

شَهَادَةٌ لله أَمَامَ التَّارِيْخِ لا بُدَّ أَنْ أُدْلِيْ بِهَا هُنَا وَهِيْ أَنِّيْ عَرَفْتُ **البُحَيْرِيَّ** نَحْوَ اثْنَتَيْ عَشَرَةَ سَنَةٍ لا يُمْكِنُنِيْ أَنْ أَقُوْلَ إِلاَّ أَنِّيْ عَرَفْتُ إِنْسَاناً فِيْ غَايَةِ الأَخْلاقِ وَالأَدَبِ وَالطِّيْبَةَ وَالإِيْمَانِ بِالله عَزَّ وَجَلَّ وَالثِّقَةِ فِيْهِ... وَلا أُزَكِّيْهِ عَلَىٰ الله.

كَانَ شَهْماً كَرِيْماً سَخِيًّا مِعْطَاءُ الأَمْرَ الَّذِيْ جَعَلُهُ مَحَطَّ أَنْظَارِ السُّفَهَاءِ الَّذِيْنَ يَسْتَغِلُّوْنَ طِيْبَتَهُ وَيَتَبَاكُوْنَ أَمَامَهُ للاقْتِرَاضِ مِنْهُ لِهٰذا السَّبَبِ أَوْ ذَاكَ كِذْباً أو صِدْقاً مَبَالِغَ كَبِيْرَةً لا يُعِيْدُوْنَهَا وَلَمْ أَسْمَعْ مِنْهُ شَكْوَىٰ فِي ذَلِكَ وَلا كَلاماً عَلَىٰ أَحَدٍ أَبَداً، وَإِنَّمَا عَلِمْتُ ذَلِكَ فِي السَّنَوَاتِ الأَخِيْرَةِ مِنْ عُمْرِهِ مِنْ خِلالِ أَشْخَاصٍ آخَرِيْنَ، وَعَلِمْتُ أَنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّعُ أَوْ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يُعِيْدُوا لَهُ الْمَالَ الْمُقْتَرَضَ وَلَمْ

يَكُنْ مُكْتَرِثاً بِذَلِكَ بَلْ وَكَانَ مُسَامِحاً سَلَفاً. وَلَمْ أَشَأْ أَوْ أُفَكِّرْ فِيْ أَنْ أُذَكِّرَهُ أَوْ أُحَذِّرَهُ مِنْ ذَلِكَ لأَنَّهُ لَمْ يَفْتَحِ الْمَوْضُوْعَ أَمَامِيْ فَمَا كَانَ مِنْ حَقِّيْ أَدَباً أَنْ أَتَكَلَّمَ مَعَهُ فِيْ هٰذا الْمَوْضُوْعِ.

وُلِدَ **حَسَنُ الْبُحَيْرِيُّ** عَامَ ١٩٢١م فِي حَيِّ وَادِيْ النَّسْنَاسِ فِي حَيْفَا بَعْدَ وَفَاةِ وَالِدِهِ، إِذْ كَانَ حِيْنَ وَفَاةِ وَالِدِهِ جَنِيْناً لِشَهْرَيْنِ فِيْ بَطْنِ أُمِّهِ، فُسُمِّيَ بِاسْمِهِ.

لَمْ تَكُنْ حَالُ أُمِّهِ الْمَادِيَّةُ جَيِّدَةً وَلا مُتَوَسِّطَةً بَلْ كَانَتْ فَقِيْرَةً، ذَلِكَ أَنَّ زَوْجَهَا **حَسَنَ الْبُحَيْرِيَّ الأَبَ** قَدْ أُصِيْبَ بِمَرَضٍ عُضَالٍ فِيْ أَوَاخِرِ عُمْرِهِ الأَمْرُ الَّذِيْ أَقْعَدَهُ وَأَدْخَلَهُ وَالأُسْرَةَ فِيْ مُعَانَاةِ الفَقْرِ. وَزَادَ مِنْ مُعَانَاتِهَا أَنَّهَا لَمْ تَتَلَقَّىٰ أَيَّ مُسَاعَدَةٍ مِنْ أَهْلِ زَوْجِهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَكَانُوْا فِيْ قَرْيَةِ الطَّيْرَةِ الْمُجَاوِرَةِ، وَعَلَىٰ أَمَلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ مُعَانَاةِ الفَقْرِ بِالزَّوَاجِ تَزَوَّجَتْ مِنْ سَائِقِ عَرَبَةٍ تَعَرَّفَتْ عَلَيْهِ وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ عَدَداً مِنَ الأَوْلادِ.

لَمْ يُعَامِلْهُ زَوْجُ أُمِّهِ مُعَامَلَةً حَسَنَةً مُطْلَقاً، بَلْ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ عَامَلَهُ مُعَامَلَةً قَاسِيَةً جِدًّا حَتَّىٰ أَنَّهُ كَانَ يَمْنَعُهُ أَحْيَاناً مِنَ البَقَاءِ مَعَهُمْ فِي البَيْتِ، حَتَّىٰ اضْطُرَّتْ أُمُّهُ لاحِقًا لأَخْذِهِ إِلَىٰ مَلْجَأ الأَيْتَامِ فِيْ حَيْفَا وَذَلِكَ لِشِدَّةِ قَسْوَةِ تَعَامُلِ زَوْجِهَا مَعَهُ.

وَقَدْ رَوَىٰ لِيَ **الْبُحَيْرِيُّ** رِوَايَاتٍ مُؤْلِمَةً عَنْ مَدَىٰ مُعَانَاتِهِ مِنْ زَوْجِ أُمِّهِ، وَمَدَىٰ قَسْوَتِهِ الوَحْشِيَّةِ. مِنْهَا أَنَّهُ فِيْ مَرَّةٍ أَرَادَ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ بِإِلْقَائِهِ فِيْ بِئْرٍ، لَوْلا أَنَّ جَارَةً لَهُمْ سَمِعَتْ صُرَاخَهُ فَسَارَعَتْ إِلَىٰ تَخْلِيْصِهِ مِنْهُ فِي آخِرِ لَحْظَةٍ. وَمَرَّةً أَمَرَهُ أَنْ يَجُرَّ حِصَانَهُ، ثُمَّ لَكَزَ الْحِصَانَ فَانْطَلَقَ وَدَاسَ ظَهْرَهُ، وَكَادَ يَمُوْتُ إِثْرَ ذَلِكَ لَوْلا رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَلُطْفِهِ.

فِي ظِلِّ ذَلِكَ كَانَ يَتَلَقَّىٰ دُرُوْسَهُ وَيَتَابِعَ دِرَاسَتَهُ فِيْ كَتَاتِيْبِ الْمَدِيْنَةِ وَمِنْ ثَمَّ التَحَقَ بِالْمَدْرَسَةِ الأَمِيْرِيَّةِ الابْتِدَائِيَّةِ فِي حَيْفَا. وَعِنْدَمَا كَانَ **حَسَنُ** فِيْ الصَّفِّ الرَّابِعِ الابْتِدَائِيِّ تُوُفِّيَ زَوْجُ أُمِّهِ مِمَّا اضْطَرَهُ إِلَىٰ تَرْكِ تَعْلِيْمِهِ لِيُعِيْلَ نَفْسَهُ وَأُمَّهُ وَأُخْوَتَهُ، فَعَمِلَ فِيْ مَحَطَّةِ سِكَّةِ حَدِيْدِ الْحِجَازِ عَامَ ١٩٣٣م، وَهِيْ الْمَحَطَّةُ الشَّرْقِيَّةُ بِالْقُرْبِ مِنْ حَيِّ وَادِي الصَّلِيْبِ.

عَمِلَ فِيْ تَنْظِيْفِ القِطَارَاتِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِحِيْنٍ قَصِيْرٍ عَمِلَ فِي دَائِرَةِ التَّوْظِيْفِ التَّابِعَةِ لِمَصْلَحَةِ القِطَارِ وَهٰذا مَا أَتَاحَ لَهُ التَّرَدُّدَ عَلَىٰ مِصْرَ وَمُقَابَلَةِ بَعْضِ الأُدَبَاءِ الْمِصْرِيِّيْنَ وَهُوَ فِي أَوَائِلِ الشَّبَابِ.

قَدْ يَسَّرَ اللهُ لَهُ فِيْ تِلْكَ الأَيَّامِ أَنْ يَنْشُرَ ثَلاثَ مَجْمُوْعَاتٍ شِعْرِيَّةٍ مَوَثَّقَةٍ مُؤَرَّخَةٍ قَصِيْدَة قَصِيْدَة... رُبَّمَا لَوْلا ذَلِكَ لَعَزَّ تَصْدِيْقُ أَنَّ هٰذِهِ القَصَائِدَ كَتَبَهَا فِيْ تِلْكَ الأَيَّامِ.

فِي عَامِ ١٩٤٨م؛ عَامِ النَّكْبَةِ، تَشَرَّدَ مَعَ مَنْ تَشَرَّدَ مِنَ الفِلِسْطَيْنِيِّيْنَ. وَكَانَ نَصِيْبُهُ وَقَدَرُهُ أَنْ يَكُوْنَ مِمَّنْ تَوَجَّهُوا إِلَىٰ سُوْرِيا الشَّامِ الأُمُّ الكُبْرَىٰ لِبِلادِ الشَّامِ. وَعَاشَ فِيْهَا حَتَّىٰ وَفَاتِهِ ١٩٩٨م.

أَكْرَمَتْـهُ دِمَشْـقُ وَعَامَلَتْـهُ مُعَامَلَـةَ وَاحِـدٍ مِـنْ أَبَنَائِهَـا وَأَكْثَـرَ. فَـوْرَ وُصُـوْلِهِ دِمَشْـقَ تَقْرِيَـاً عَمِـلَ مُرَاقِبـاً لِلْقِسْـمِ الأَدَبِيِّ فِيْ إِذَاعَـةِ دِمَشْـقَ، ثُمَّ رَئِيْسـاً لِـدَائِرَةِ البَـرَامِجِ الثَّقَافِيَّـةِ فِيْ الْمُدِيْرِيَّـةِ العَامَّـةِ للإِذَاعَـةِ وَالتِّلِفزْيُـون حَـتَّىٰ تَقَاعُـدِهِ عَامَ ١٩٧٨م.

فِي عَامِ ١٩٩٠م نَالَ **البُحَيْرِيُّ** وِسَامَ القُدْسِ، تَقْدِيْراً تَقْلِيْدِيًّا كَانَتْ تَمْنَحُهُ السُّلْطَةُ الفِلِسْطِيْنِيَّةُ بِالتَّرْتِيْبِ لأَعْلامِ فِلَسْطِيْنَ.

فِيْ الْخَامِسِ وَالعِشْرِيْنَ مِنْ شَهْرِ تِشْرِيْنِ الأَوَّلِ/ أُكْتُوْبَرَ ١٩٩٨م انْتَقَلَ **البُحَيْرِيُّ** إِلَىٰ رَحْمَةِ الله تَعَالَىٰ فِيْ مُسْتَشْفَىٰ الشَّامِيْ بِدِمَشْقَ. وَفِيْ اليَوْمِ التَّالِيْ دُفِنَ فِي مَقْبَرَةِ الشُّهَدَاءِ فِيْ مُخَيَّمِ اليَرْمُوْكِ بِدِمَشْق.

مؤلفاته المنشورة

١. الأصائل والأسحار (شعر) ١٩٤٣م.
٢. أفراح الربيع (شعر) ١٩٤٤م.
٣. ابتسام الضحى (شعر) ١٩٤٦م.
٤. حيفا في سواد العيون (شعر) ١٩٧٣م.
٥. لفلسطين أغني (شعر) ١٩٧٩م.
٦. ظلال الجمال (شعر) ١٩٨١م.
٧. الأنهار الظمأى (شعر) ١٩٨٢م.
٨. تبارك الرحمن (شعر) ١٩٨٣م.
٩. جنة الورد (شعر) ١٩٨٩م.
١٠. رسالة في عيد (شعر) ١٩٩٠م.
١١. لعيني بلادي (شعر) ١٩٩٣م.
١٢. سأرجع (شعر) ١٩٩٤م.
١٣. ألوان (شعر) ١٩٩٥م.
١٤. دعابة بين الجد والهزل (شعر) ١٩٩٦م.
١٥. خمرة الشعر (شعر) ١٩٩٧م.
١٦. رجاء (رواية) ١٩٩٦م.

كتب عن البحيري

. صبري دياب: **الوطنية في شعر حسن البحيري**. وهو رسالة نال بها درجة الإجازة (ليسانس) في الأدب من جامعة (عنّابة) بالجزائر. طبع بدمشق . ١٩٨٥م.

. الدكتور حسني محمود: **الشاعر حسن البحيري؛ صورة قلمية في رحلة إلى الأعماق** . دمشق.

. إسماعيل مروة: **البحيري؛ رسالة وموقف** . دمشق . ١٩٩١م.

. هاورن هاشم رشيد: **حيفا والبحيري؛ مدينة وشاعر** . دمشق . ١٩٧٥م.

. صبحي محمد عبيد: **حسن البحيري، الشَّاعر الذي انتصرت فيه العبقرية على الحرمان**. وهو رسالة نال بها الدكتوراه بدرجة (مُشَرِّف) من جامعة الجزائر عام ١٩٨٥م. طبع الكتاب بدمشق ١٩٩١م.

. الدكتور عزت السيد أحمد: **البحيري بأقلام معاصريه**. وهو مجموع ما نُشر عن البحيري في الصحف والمجلات علىٰ مدار عشرات سنين عمره، جمعتها علىٰ مدار سنوات بالتعاون معه وكانت في مجلدين ضخمين، كان من المفترض أن يدفع بها للنَّشر في العام الماضي ١٩٩٧م، ولٰكن تعذَّر ذٰلكَ وتم تأجيل موضوع نشره إلىٰ حين قادم.

خاتمة

الْحَقِيْقَةُ الَّتِيْ أَوَدُّ أَنْ أَخْتُمَ بِهَا هُنَا هِيَ أَنَّ مَا قَدَّمْنَاهُ فِيْ هٰذا الفَصْلِ مِنْ سِيْرَةَ الشَّاعِرِ وَتَارِيْخِه لَيْسَ إِلَّا ضَوْءاً خَاطِفاً سَرِيْعاً. مِنَ الاسْتِخْفَافِ بِمَكَانٍ الزَّعْمُ

أَنَّ صَفْحَتَيْنِ أَوْ ثَلاثَ تَخْتَصِرُ سِيْرَةَ نَحْوٍ مِنْ ثَمَانِيْنَ عَاماً مِنَ الأَلَمِ وَالأَمَلِ وَالإِبْدَاعِ وَالعَمَلِ لِمُبْدِعٍ عِمْلاقٍ بِقَامَةِ **البُحَيْرِيِّ**.

الاخْتِلافُ فِيْ قِيْمَةِ الشَّاعِرِ، **البُحَيْرِيِّ** أَوْ غَيْرِهِ، أَمْرٌ قَدْ يَنْطَوِيْ عَلَىٰ بَعْضِ النِّسْبِيَّةِ وَلٰكِنَّ لا يجوز لِهٰذِهِ النِّسْبِيَّةِ أَنْ تَكُوْنَ ذَرِيْعَةً للظُّلْمِ وَالتَّجَنِّيْ عَلَىٰ هٰذا الْمُبْدِعِ أَوْ ذَاكَ. هُنَاكَ مَنْطِقٌ وَمَعَايِيْرٌ يَجِبُ الرُّجُوْعُ إِلَيْهَا وَالاحْتِكَامُ إِلَيْهَا لِمُقَارَبَةِ القِيْمَةِ وَتَقْدِيْرِهَا. الشهْرَةُ لَيْسَتْ مِعْياراً لِقِيْمَةِ الشَّاعِرِ أَوِ الْمُبْدِعِ، هِيَ وَاحِدٌ مِنَ الْمَعَايِيْرِ وَلٰكِنَّهَا لَيْسَتْ كُلَّ شَيءٍ أَبَداً.

شَهِدْتُ كَثِيْراً مِنَ الظُّلْمِ وَالتَّجَنِّيْ وَالْحَيْفِ فِي حَقِّ هٰذا الْمُبْدِعِ أَوْ ذَاكَ، كَانَ السَّبَبُ دَائِماً مُتَرَاوِحاً بَيْنَ الْجَهْلِ وَالأَيْدِيُوْلُوْجِيَا.

الْجَهْلُ بِالْمُبْدِعِ يُمَثِّلُ القِسْمَ الأَوَّلَ مِنْ أَسْبَابِ الْحَيْفِ أَوِ التَّجَنِّيْ، فَكَثِيراً مَا سَمِعْتُ (نُقَّاداً) . (أَشْخَاصاً) يَجْنِفُوْنَ عَلَىٰ مُبْدِعِيْنَ ارْتِجَالاً عَلَىٰ غَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدَىً، مِنْ دُوْنِ قِرَاءَتِهِ أَوْ مَعْرِفَةِ شَيْءٍ حَقِيْقِيٍّ عَنْهُ... نَقْلاً عَنْ آخَرِيْنَ مِثْلِهِمْ فِيْ الْجَهْلِ أَوْ تُحَرِّكُهُمْ دَوَافِعُ حِقْدٍ لِسَبَبٍ أَوْ لآخَرَ.

القِسْمُ الثَّانِيْ مِنْ أَسْبَابِ الْحَيْفِ وَالتَّجَنِّيْ هُوَ اخْتِلافُ الأَيْدِيُوْلُوْجِيَا. اخْتِلافُ الأَيْدِيُوْلُوْجِيَا عَامِلٌ خَطِيْرٌ مِنْ عَوَامِلِ تَجَاهُلِ الآخَرِ وَعَدَمِ الاعْتِرَافِ بِهِ مَهْمَا كَانَتْ كَفَاءَتُهُ وَقُدْرَتُهُ وَقِيْمَتُهُ.

حَسَنُ البُحَيْرِيُّ تَعَرَّضَ للظُّلْمِ مِنْ هٰذَيْنِ البَابَيْنِ كِلَيْهِمَا مَعاً. فَهُوَ لَمْ يَنْتَمِيْ إِلَىٰ حِزْبٍ أَوْ أَيْدِيُوْلُوْجِيَا تُسَاهِمُ فِي تَقْدِيْمِهِ للجُمْهُوْرِ وَالتَّعْرِيْفِ بِهِ وَقِيْمَتِهِ. وَأَصْحَابُ الأَيْدِيُوْلُوْجِيَا جَمِيْعاً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَالِحٌ فِيْ ظُهُوْرِهِ وَلا انْتِشَارِهِ لأَسْبَابٍ كَثِيْرَةٍ إِبْدَاعِيَّةٍ وَسِيَاسِيَّةٍ وَأَيْدِيُوْلُوْجِيَّةٍ، ولِذَلِكَ ظَلَّتْ آثَارُهُ حَبِيْسَةَ الرُّفُوْفِ.

فِي هٰذا الإطَارِ هٰذانِ العَامِلانِ عَيْنُهُمَا هُمَا أَبْرَزُ أَسْبَابِ طَيَرَانِ الشُّهْرَةِ أَوْ غَرَقِهَا. وَالحَقِيْقَةُ الْمُرَّةُ الَّتِي يَجِبُ ذِكْرُها هُنَا مِنْ دُوْنِ لَفٍّ أَوْ دَوَرَانٍ أَبَداً هِيَ أنَّ الأَيْدِيُوْلُوْجِيَا اليَسَارِيَّةَ الشِّيُوْعِيَّةُ خَاصَّةً بِالدَّرَجَةِ الأُوْلَى مِنْ دُوْنِ مُنَازِعٍ وَالعَلْمَانِيَّةُ العَامَّةُ بِالدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ، وَاليَسَارِيَّةُ القَوْمِيَّةُ بَعْدَهُما بِشَوْطٍ طَوِيْلٍ، هِيَ الَّتِيْ سَيْطَرَتْ عَلَىٰ الإِعْلامِ العَرَبِيِّ بِكُلِّ مَفَاصِلِهِ وَعَلَىٰ امْتِدَادِ العَالَمِ العَرَبِيِّ وَحَتَّىٰ الإِسْلامِيِّ، وَهِيَ أَيْدِيُوْلُوْجِيَا اسْتِبْدَادِيَّةٌ إِقْصَائِيَّةٌ تَغْبِيَّةٌ لا تَقْبَلُ الآخَرَ وَلا تَعْتَرِفُ بِهِ وَلا تَسْمَحُ لَهُ بِالظُّهُوْرِ عَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ زَعْمِهَا خِلافَ ذَلِكَ، وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِنْ رَفْعِهَا شِعَارَ احْتِرَامَ الآخَرِ، وَحُرِّيَّةَ الرَّأْيِ وَالتَّعْبِيْرِ وَالدِّيْمُقْرَاطِيَّةَ...

وَفِي الوَقْتِ ذَاتِهِ كَانَتْ وَمَا زَالَتْ تَقُوْمُ بَتَظْهِيرِ وَإِشْهَارِ أَعْلامَهَا عَلَىٰ اسْتِحْقَاقٍ أَوْ عَدَمِ اسْتِحْقَاقٍ وَنَفْخِهِمْ وَتَضْخِيْمِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ حُجُوْمِهِمِ الْحَقِيْقِيَّةِ بِكَثِيْرٍ لا يُطَاقُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْيَانِ.

كُلُّ ذَلِكَ كَانَ عَوَامِلَ حَاسِمَةً فِي مُحَاصَرَةِ **البُحَيْرِيِّ** وإِقْصَائِهِ. وَكَانَ ثَمَّةَ عَامِلٌ شَخْصِيٌّ مِنْ نَاحِيَةِ **البُحَيْرِيِّ** ذَاتِهِ هُوَ عَدَمُ مَيْلِهِ إِلَىٰ الاسْتِعْرَاضِ، ولا إِلَىٰ تَسْوِيْقِ نَفْسِهِ ولا اسْتِثْمَارِ العَمَلِ أَوِ الظُّرُوْفِ.

الفصل الثاني

البحيرات عقدية فرزية

إِنَّ البحـيريَّ إِذْ قَـالَ شِـعْرَاً وَهُـوَ فِي هَـذِهِ السِّـنِّ الـمُبَكِّرَةِ جِـدًّا، فِي ظِـلِّ مُخْتَلَـفِ ظُـرُوفِ الـمُعَانَاةِ وَالْحِرْمَـانِ، وَالبُعْـدِ عَـنِ التَّعْلِـيمِ، وَلاَ سِيَّمَا أَيضَـاً أَنَّـهُ كَمَـا رَوَى قَـدْ أَصْـدَرَ مُجْمُوعَاتِـهِ الـثَّلاثَ الأُوْلَى وَهُـوَ لاَ يَعْـرِفُ شَـيئاً عَـن أَبْحُـرِ الْخَلِيـلِ وَتَفْعِيلاَتِهَـا لَـدَلِيلٌ سَـاطِعٌ نَاصِـعٌ عَلَـى المَوْهِبَةِ الفَذَّةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا(١).

لَعَلَّ كَثِيرينَ لا يعرفونَ مَن هُوَ **حَسَنُ البُحَيريُّ**، وَلَكنَّ مَنْ يَعْرِفُهُ لاَ بُدَّ أَنْ يَعْشَقَهُ، أَقولُ يعشقهُ وَأَنا أُدْرِكُ وَأَقْصِدُ تَمَاماً مَا تُشيرُ إِليهِ هَذِهِ اللَّفظَةُ مِنْ دَلالاتٍ وَمَعَانٍ...إِنَّهُ عبقريَّةٌ فَذَّةٌ، شَاعِرٌ متفرِّدٌ بِخصائصَ تَرْقَى بِهِ إِلَى مصافِ كِبارِ الشُّعراءِ، بَلْ هُوَكذلكَ حقًّا . وَلَعَلَّ هَذَا قَدَرُ العظماءِ وَالسَّابقينَ زَمَانَهُم . يَحيا غَريباً بينَ أَهلِهِ، ولا يُقَدَّرُ حَقَّ قَدْرِهِ.

عَلَى أَنَّ كلَّ مَن قَرَأَ شِعْرَهُ قراءةَ متبصِّرٍ خبيرٍ، لَن يَجِدَ مَنَاصاً مِن أَنْ يَقِفَ لَهُ إِجلالاً وَإِكباراً، وَينظرَ إِليهِ بعينِ الإِعجابِ وَالتَّقديرِ، وَيَزدادُ هَذَا الإِعجابُ

١ . نشر هَذَا الفصل على قسمين في صحيفة الثقافة الأسبوعية . دمشق . العدد (٢٨) . في ١٠/١٠/١٩٩٢م. والعدد (٢٩) في ١٧/١٠/١٩٩٢م.

كُلَّمَا ازدادَ قُرْباً مِن **البحيريِّ**، لِمَا تَتَّسِمُ بِهِ شَخصيَّتُهُ مِن سِمَاتٍ وَمَزَايَا مُحَبَّبَةٍ تَجْعَلُهُ ينفذُ إِلَى شِغافِ القلوبِ بِسُرْعَةٍ بالغةٍ.

وُلِدَ **حسنُ البحيريُّ** يَتِيماً، فِي مدينةِ حَيْفَا، أَرْجَحُ الظَّنِّ عَامَ ١٩٢١ للميلادِ، وَنَشَأَ فِيهَا وَيَفَعَ، لكنَّها نشأةٌ بائسةٌ يائسةٌ، مِلْؤُهَا الادْقَاعُ والحرمانُ، الأَمْرُ الَّذِي أَلزمَهُ قَطْعَ مَسِيرتِهِ الدِّراسِيَّةِ وَهِيَ فِي مَهْدِهَا، مِنَ الصَّفِّ الرَّابعِ الابتدائيِّ، لِتَأمينِ لُقْمَةِ العيشِ لَهُ وَلأُمِّهِ، إِذْ لاَ موردَ وَلاَ مُعيلَ إِلاَّ الله، «وَكَمْ دَمِيَتْ يَدَاهُ وَرِجْلاهُ وَهُو يركضُ خَلْفَ لُقْمَةِ العيشِ السَّوداءِ هَذِهِ . حتَّى فِي أَثْنَاءِ الدِّراسةِ . فِي مُطَارَدَةٍ عَبْرَ الشَّوارِعِ وَالأَزِقَّةِ... وَنَبْشَاً فِي مَزْبَلَةِ المدينةِ... وَكَمْ مِن اللَّيالي نَامَهَا عَلَى القَشِّ مُلْتَحِفَاً قِطْعَةً مِن الْخَيْشِ»[٢].

وَفِي ظِلِّ هَذِهِ النَّشأةِ القاسِيَةِ الَّتِي تأخذُ الإِنسانَ مِن ذَاتِهِ، وتقودُهُ إِلَى اليأسِ وَالإِحْبَاطِ، نَمَتْ عَبْقَرِيَّةُ **البحيريِّ**، وَصُقِلَتْ، وَأُغْنِيَتْ، فَمَا دَلائلُ ذَلِكَ، وَكَيْفَ كَانَ ؟

أولاً: في التحصيل

إِنَّ انْقِطَاعَ **البُحيريِّ** عن الدِّرَاسَةِ فِي مَرَاحِلِهَا الأُولَى، إِلَى جانبِ مَا كَانَ يُعَانِيهِ مِن فاقَةٍ وَعَوَزٍ.. لَمْ يَمْنَعْهُ مِن أَنْ يَكأَدَ فِي قَدِّ شَخصيَّتِهِ المُبْدِعَةِ الْخَلاَّقَةِ، والسَّهرِ عَلَى متابعَةِ القِرَاءَةِ والتَّحصيلِ بِجَهْدٍ فَرديٍّ مَحْضٍ، «لا يَدَ فَضْلٍ فِيهِ لأَحَدٍ البتَّةَ»[٣]، « فَثَقَّفَ نَفْسَهُ بنفسِهِ فِي

---

٢ . هارون هاشم رشيد: **حيفا والبحيري؛مدينة وشاعر** . مطبعة دار الحياة . دمشق . ط١ .١٩٧٥م . ص٧٥.

٣ . د. صبحي محمد عبيد: **حسن البحيري؛ الشاعر الَّذِي انتصرت فيه العبقرية على الحرمان** . رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الجزائر عام ١٩٨٥م، نشر ديوان المطبوعات الجامعية . الجزائر .١٩٩١م . ص ٦٣.

اللُّغتينِ العربيَّةِ وَالإنجليزيَّةِ، فَقَدْ صَحِبَ الكِتَابَ، بَلْ لازَمَهُ... ليستغلَّ كلَّ استراحةٍ للقراءةِ والثَّقافَةِ، حتَّى اسْتَوْعَبَ أَغْلَبَ كُتُبِ التُّراثِ الَّتِي عَرَفَهَا وَأَبناءُ جِيلِهِ... هَضَمَ التُّراثَ بَعْدَ دِرَاسَةٍ مُتَأَنِّيَةٍ، فَصَارَ مَوسوعيَّ الثَّقَافَةِ، وَغَدَا صنواً لِكِبَارِ أُدَبَاءِ العربيَّةِ القدماءِ»[٤] بَلْ غَدَا «أَمِيرَ اللُّغةِ العربيَّةِ الفَصِيحَةِ بَيَانَاً وَبَلاغَةً»[٥] قَلَّمَا تَجِدُ مَن يضارِعَهُ دِرَايَةً بِمُفْرَدَاتِ اللُّغةِ العربيَّةِ وَدَلالاتِهَا وَقَوَاعِدِ صَرْفِهَا واشتقاقِهَا، وَنَحْوِهَا.

إنَّ مثلَ هَذَا التَّحصيلِ وَمَا أَثْمَرَهُ مِنْ نَتَائِجَ، بِالمُقَارَنَةِ مَعَ الظُّروفِ الَّتِي مَرَّ بِهَا الشَّاعِرُ؛ مِن عَمَلٍ فِي أَثْنَاءِ الدِّرَاسَةِ، وَالانتقالِ مِن حضنِ المدرسَةِ الدَّافِئِ وَهُوَ فِي طَوْرِ البناءِ الأَوَّلِي، إِلَى صلابةِ العملِ وقساوَتِهِ وَمُدَّتِهِ الطَّويلَةِ، لَدَلِيلٌ سَاطِعٌ عَلَى مَا يَمْتَلِكُهُ **البُحيريُّ** مِن إِرَادَةٍ قَوِيَّةٍ، وَمَوْهِبَةٍ فَذَّةٍ، وَذَكَاءٍ حَادٍّ. وَالحقُّ أَنَّ مَن يقرأ سيرةَ **البحيريُّ**، أَوْ يَسْمَعُهَا مِنْهُ، لَيَنْدَهِشُ حقًّا مِمَّا أَنْجَزَهُ، وَلاَ أَعْتَقِدُ أَنَّ أَحَدَاً غَيْرَهُ عَاشَ فِي مِثْلِ ظُرُوفِهِ، حَقَّقَ بَعْضَ مَا حَقَّقَهُ، الأَمْرُ الَّذِي يَجْعَلُهُ ظَاهِرَةً فَذَّةً فَرِيدةً، تَسْتَحقُّ الوقوفَ عِنْدَهَا طَويلاً.

ثانياً: نبوغه المبكر

إِنَّ مَا وَصَلَ إِلَيهِ **البحيريُّ** مِن مَكَانَةٍ رفيعةٍ فِي الشِّعرِ، وَفِقْهِ اللُّغةِ وَعُلُومِهَا، لَم يَكُنْ نَتِيجةً لِدَأبِهِ فِي التَّحصيلِ بِقَدْرِ مَا كَانَ تَحْصيلُهُ الموسوعيُّ هَذَا ثَمرةً لنبوغِهِ، وَحِدَّةِ ذَكَائِهِ الَّتِي ظَهَرَتْ مبكرةً لَدَيهِ، فَلَقَدْ «أَبْدَى فِي المدرسَةِ نَبَاهَةً . وَهُوَ فِي الصَّفِّ الأَوَّلِ . أَنبأتْ عَن حِدَّةِ ذَكَائِهِ، وَلَفَتَتْ إِلَيهِ الأَنْظَارَ، عَلَى الرُّغمِ

---

[٤] . اسماعيل مروة: **البحيري؛ موقف ورسالة** . دار البشائر . دمشق .١٩٩١م . ص٤٣/٤٤.

[٥] . عبد الهادي البكار: **مقدمة مجموعة لعيني بلادي الشعرية**، للشاعر حسن البحيري . مطبعة الصباح . دمشق .١٩٩١م . ص ٢٥ .

مِن أَنَّهُ كَانَ قَليلَ الانْتِظَامِ فِي الدَّوامِ، لكثرةِ مَا كانتْ تكلِّفُهُ أُمُّهُ أَوْ زَوْجُهَا بِأَعمالٍ تُعِيقُهُ عَن الدِّراسةِ... وَتُضَيِّعُ عَلَيهِ أَيَّامَهَا... وَمَعَ ذَلكَ كُلِّهِ فَقَدْ بَرَزَ الصَّبيُّ وَنَجَحَ إِلَى الصَّفِّ الثَّاني بتفوقٍ، وَأَثنى عَلَيهِ مُدَرِّسُوهُ»[٦].

وَمِمَّا أَورَدَهُ الأُستاذُ **هارون هاشم رشيد** . وَهُوَ مِن مُعَاصِرِي شَاعِرِنَا . فِي كتابِهِ ***حيفا والبحيريّ*** مِن دَلائِلِ النُّبوغِ المُبَكِّرِ لَدَى **البحيريِّ**، حَادِثَةً تَنُمُّ عَن أَلْمعيَّةٍ مُبْدِعَةٍ، وَقَرِيْحَةٍ مُتَّقِدَةٍ، فَقَدْ كَانَ الأُستاذُ **عارف حجازي** . مُدرِّسُ اللُّغةِ العَرَبِيَّةِ . يشرحُ دَرْسَ أَجْوَادِ الْعَرَبِ فِي الجاهليَّةِ . وَكَانَ **البحيريُّ** فِي الصَّفِّ الثَّالثِ الابتدائيِّ . وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى البيتِ التَّالِي وَقَرَأَهُ:

يَجُــودُ بِــالنَّفْسِ إِذْ ضَــنَّ البَخِيــلُ بِهَــا
وَالجُــودُ بِــالنَّفْسِ أَقْصَــى غَايَــةِ الجُــودِ[٧]

رَفَعَ **البحيريُّ** إِصْبَعَهُ وَقَالَ:

. أُستاذ... فِي هَذَا الشِّعْرِ خَطَأٌ.

وَلـمَّا سَأَلَهُ الأُستاذُ عَنِ الْخَطَأِ وَمَوْضِعِهِ قَالَ:

. الْخَطَأُ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ:

*** يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ البَخِيلُ بِهَا ***

وَكَانَ عَلَيهِ أَنْ يَقُولَ:

*** يَجُودُ بِالنَّفْسِ إِذْ ضَنَّ الْكَرِيمُ بِهَا ***

---

٦ . هارون هاشم رشيد: **مدينة وشاعر؛ حيفا والبحيريُّ** . ص ٧٥.

٧ . عبد الفتاح صبري بك وعمر علي بك: **القراءة الرشيدة** . الجزء الثالث . ط٨ . ١٩٢٦م . نشر نجيب متري صاحب مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر . ص ٨٨/٩٠ . (عن المرجع).

لأَنَّ مِنْ طَبْعِ البَخِيلِ أَنْ يَبْخَلَ بِكُلِّ شَيءٍ، فَكَيفَ بِنَفْسِهِ ؟! وَمِن طَبْعِ الْكَرِيمِ أَنْ يَجُودَ بِكُلِّ شَيءٍ إِلاَّ بِنَفْسِهِ، وَأَنْ يَجُودَ الإِنْسَانُ بِمَا يَبْخَلُ بِهِ حَتَّى الْكُرَمَاءُ أَنْفُسُهُم هُوَ الأَمْرُ العَظِيمُ المُدْهِشُ»[٨].

وَيُعقِّبُ الدُّكتورُ **صبحي عبيد** عَلَى هَذِهِ الْحَادِثَةِ قَائلاً: « إِنَّ هَذَا النَّقْدَ الصَّادِرَ عَنْ صَبِيٍّ فِي مِثْلِ هَذَا العُمْرِ يَدْعُو إِلَى الإِعْجَابِ، وَقَدْ قَصَدْتُ مِن هَذَا الَّذِي أَوْرَدْتُ إِلَى تبيانِ ذَكَاءِ **البحيريِّ**، هَذَا الذَّكَاءِ الفِطريِّ الَّذِي يَتَدفَّقُ مِن الشَّاعِرِ مُتَحدِّياً ظُرُوفَ التَّعَاسَةِ الَّتِي عَاشَهَا، كَمَا يَتَدفَّقُ النَّبعُ مِن بَيْنِ طيَّاتِ الصُّخُورِ»[٩].

ثالثاً: الإبداع المبكر

أَصْدَرَ **البحيريُّ** مَجْمُوعَتَهُ الشِّعريَّةَ الأُولَى: ((الأَصَائِلَ وَالأَسْحَارِ)) وَهُوَ فِي الثَّانِيَةَ وَالْعِشْرِينَ مِن عُمْرِهِ، أَي عَامَ ١٩٤٣م، وَمُعْظَمُ قَصَائِدِ هَذِهِ المَجْمُوعَةِ كُتِبَتْ عَامَ ١٩٤١م، وَكَذَلِكَ أَمْرُ مَجْمُوعَتِهِ الثَّانِيَةِ: ((أَفْرَاحِ الرَّبِيعِ)) الَّتِي صَدَرَتْ عَامَ ١٩٤٤م، وَلَكِنَّ مَجْمُوعَتَهُ الثَّالِثَةَ: ((ابْتِسَامُ الضُّحَى))، وَالَّتِي صَدَرَتْ عَامَ ١٩٤٦م، فَقَدْ حَوَتْ قَصَائِدَ كَتَبَهَا الشَّاعِرُ عَامَ ١٩٣٦م، أَيْ عِنْدَمَا كَانَ عُمْرُهُ خَمْسَةَ عَشَرَ عَامَاً، وَالْحَقُّ أَنَّهَا قَصَائِدٌ بَدِيعَةٌ، لاَ تَقَلُّ جودَةً وَحُسْنَ سَبْكٍ عَمَّا تَلاهَا مِن قَصَائِدَ، حَتَّى قَالَ الأُستَاذُ **صبحي عبيد**: « مِنَ المُدْهِشِ حَقًّا أَنْ نَقْرَأَ قَصَائِدَ تَتَمَيَّزُ بِقِيمَتِهَا وَكَلاسِيكِيَّتِهَا قَالَهَا عَامَ ١٩٣٦م، حِينَ لَمْ يَكُنْ

---

٨ . هارون هاشم رشيد: **مدينة وشاعر؛ حيفا والبحيري** . الحادثة من ص٧٩ حتى ٨١ . وقد أوردها الدكتور صبحي محمد عبيد مرويَّة عن لسان البحيري ذاته . ص٦٢ .

٩ . د. صبحي محمد عبيد: **حسن البحيري؛ الشاعر الَّذِي انتصرت فيه العبقرية على الحرمان** . ص ٦٢ .

عُمْـرُهُ يَزِيـدُ عَـن خَمْسَـةَ عَشَـرَ عَامَـاً»[١٠]. يَقُـولُ فِي (لَهَـبِ الشَّـبَابِ) مَثَلاً[١١]:

فَمَـا العِـزُّ إلاَّ حَيْـثُ آطَامُنَـا بَـدَتْ
تُشَـاطِرُ أَقْمَـارَ اللَّيَـالِي سَـنَاءَهَا

وَمَـا الـمَجْدُ إلاَّ مَـا نُشِـيدُ وَنَبْتَنِـي
وَنَحْـنُ الـمَعَالِي قَـدْ جَـلَوْنَا رُوَاءَهَـا

وَفَخْـرُ الثَّـرَى أَنَّـا وَطِئْنَـاهُ رِفْـعَةً
وَفَـخْرُ الثُّرَيَّـا أَنْ عَلَوْنَـا سَـمَاءَهَا

تُسَالِـمُنَا الأَيَّـامُ خَشْـيَةَ بَأسِـنَا
فَتُلْقِـي لَنَـا أَيْـدِي اللَّيَـالِي وَلاَءَهَـا

يُـدْنِي لَنَـا الـدَّهْرُ الـمُنَى وَهُـوَ صَـاغِرٌ
وَأَنْفُسُـنَا مِنْهَـا تَنَـالُ اشْـتِهَاءَهَا

---

[١٠] . د. صبحي محمد عبيد: **حسن البحيري؛ الشاعر الَّذِي انتصرت فيه العبقرية على الحرمان** . ص٢١٦ .

[١١] . حسن البحيري: **ابتسام الضحى** . مطبعة الصباح . دمشق . ط٢ . ١٩٩٠م . ص٤٩ .٥٠.

قَـدْ يَقُـولُ قَائِـلٌ: إِنَّ الإِبْـدَاعَ غَالِبَـاً مَـا يَلُـوحُ أَو يَنْجَلِـي فِي سِـنٍّ مُبَكِّـرَةٍ، وَالْحَـقُّ أَنَّ هَـذَا القَـوْلَ لاَ جِـدَالَ فِيـهِ، وَلَكِـنْ فِي حَالَـةٍ مِثْـلِ حَالَـةِ **البحيـريِّ** الَّـذِي حُـرِمَ لاَ التَّعْلِـيمَ وَحْـدَهُ، بَـلْ الْحَـدَّ الأَدْنَى مِـن الكَفَـافِ، فَـإِنَّ الأَمْرَ مُخْتَلِفٌ.

إِنَّ **البحيـريَّ** إِذْ قَـالَ شِـعْرَاً وَهُـوَ فِي هَـذِهِ السِّـنِّ الـمُبَكِّرَةِ جِـدًّا، فِي ظِـلِّ مُخْتَلَـفِ ظُـرُوفِ الـمُعَانَاةِ وَالْحِرْمَـانِ، وَالبُعْـدِ عَـنِ التَّعْلِـيمِ، وَلاَ سِـيَّمَا أَيضَـاً أَنَّـهُ كَمَـا رَوَى قَـدْ « أَصْـدَرَ مُجْمُوعَاتِـهِ الـثَّلاثَ الأُوْلَى وَهُـوَ لاَ يَعْـرِفُ شَـيئاً عَـن أَبْجُـرِ **الْخَلِيـلِ** وَتَفْعِيلاَتِهَـا»[١٢] لَـدَلِيلٌ سَـاطِعٌ نَاصِـعٌ عَلَـى الـمَوْهِبَةِ الفَذَّةِ الَّتِي خُصَّ بِهَا.

وَمَـــــا الشِّـــــعْرُ إِلاَّ حِكْمَـــــةٌ وَعَوَاطِـــــفٌ
يُسَـــــرْبِلُهَا وَحْـــــيٌ فَتَنْسَـــــابُ عِطْـــــرَا

فَمَـــــنْ لَـــــمْ يَكُـــــنْ مِـــــن مَهْـــــدِهِ ذَا قَرِيحَـــــةٍ
فَلَـــــنَ يَجْعَـــــلَ الأَحْجَـــــارَ بِالْكَـــــدِّ دُرَّا[١٣]

رابعاً: في أسلوبه الشعريِّ

إِنَّ الأَمْـرَ الْغَرِيـبَ الَّـذِي نَجِـدُهُ عِنْـدَ **البحيـريِّ**، وَقَلَّـمَا نَجِـدُهُ عِنْـدَ غَـيرِهِ مِـنَ الشُّـعَرَاءِ . عَلَـى تَبَـايُنِ ظُرُوفِـهِ عَـنْهُمْ قَاطِبَـةً . هُـوَ تِلْـكَ السَّـوِيَّةُ مِـنَ

---

١٢ . د. صبحي محمد عبيد: م.س. ص٦٢ .

١٣ . البيتين من شعر المؤلِّف، من قصيدة: سلامٌ على الوجه الذي فاض بشراً، وهي موجودة في مجموعة: **أنا صدى الليل**. دار الأصالة للطِباعة. دمشق. ١٩٩٥م.

الإتْقَـانِ وَالبَلاغَـةِ وَأَسَـالِيبِ البَيَـانِ وَالتَّصْـوِيرِ، وَالَّـتِي حَافَظَـتْ عَلَـى وَتَـائِرَ جِـدِّ مُتَقَارِبَـةٍ مُنْـذُ بِدَايَـةِ كِتَابَتِـهِ الشِّـعْرَ وَحَـتَّى الآنَ، وَكَـأَنَّ كُـلَّ الْخِبْـرَاتِ وَالتَّجَـارِبِ الَّـتِي اكْتَسَـبَهَا **البُحَيـرِيُّ** لَـمْ تَـرْقَ إِلَى مَصَـافِ سُمُـوِّ أَلْـقِ عَبْقَرِيَّتِـهِ الَّتِي تَجَلَّتْ فِي مَرْحَلَةٍ مُبَكِّرَةٍ حَتَّى تَسْتَطِيعَ أَنْ تَزِيدَ إِلَى أَلْقِهَا أَلَقاً.

وَنَحْـنُ إِذْ نَقُـولُ ذَلِـكَ لاَ نَقُولُـهُ اعْتِبَاطَـاً وَلا بِـدَافِعِ مَيْـلٍ أَوْ هَـوًى أَبَـدَاً، وَإِنَّمَـا هُـوَ الْحَـقُّ الَّـذِي لاَ مِـرَاءَ فِيـهِ، وَلاَ أَدَلَّ عَلَـى ذَلِـكَ مِـن أَنْ نُقَـارِنَ بَـينَ أَشْـعَارِهِ الأُولَى، وَأَشْـعَارِهِ الْحَالِيَّـةَ، وَمَـا بَيْنَهُمَـا مِـنْ أَشْـعَارٍ حَوَتَهَـا خَمْـسَ عَشْـرَةَ مَجْمُوعَـةٍ شِـعْرِيَّةٍ، وَأَعْتَقِـدُ أَنَّ إِحَالَـةَ القَـارِئِ إِلَى شِـعْرِ **البُحيـرِيّ** خَيْـرٌ مِـنْ إِيـرَادِ بِضْـعِ أَبْيَـاتٍ رُبَّمَـا لَـنْ تَفِـي بِـالغَرَضِ، لأَنَّنَـا لا نَتَحَـدَّثُ عَـن قَصِيدةٍ أَومَجموعـةِ قَصَـائِدَ، وَإِنَّمَـا نَتَحـدَّثُ عَـن شِـعْرِهِ كُلِّـهِ تَقْرِيبـاً، وَعَلَـى الـرُّغْمِ مـن ذَلِـكَ فَإِنَّنَـا سَنُورِدُ هَـذِهِ الأَبيـاتَ لِنُقَارِنَهَـا . بِوَصْـفِهَا نموذَجَـاً . مَـعَ الأَبيـاتِ الَّتِي أَوْرَدْنَاهَا قَبْلَ قَلِيلٍ.

يَقُـولُ فِي ((رِسَـالَةٍ فِي عِيـد)) هَـذِهِ القَصِـيدَةِ الَّـتِي كَتَبَهَـا فِي كَـانُونِ الثَّـانِي / يَنَـاير . ١٩٨٨م، فِي تَصْوِيرِ «الثَّورَةِ الفِلَسْـطِينِيَّةِ العَارِمَـةِ، الَّتِي سَمُّوهَا انْتِفَاضَةً خَطَأً غَيرَ مَقْصُودٍ...»[١٤].

ثَـارُوا وَمَـلُّ وُجُـودِهِم فِـي أَرْضِـهِم غَضَـبٌ مَرِيـدُ
حَتَّـى لَكَـادَ يَهُـبُّ مِـنْ بَطْـنِ الثَّـرَى الـمَيْتُ الفَقِيـدُ
وَلَكَـادَ فِـي الـرَّحْمِ الجَنِـينُ يَخِـفُّ وَالطِّفْـلُ الوَلِيـدُ
وَلَكَـادَ مَـا قَـدْ غَـابَ فِـي الأَصْـلاَبِ يِحْفِـزُهُ النُّهُـودُ

[١٤] . حسن البحيري: رسالة في عيد . مطبعة الصباح . دمشق . ط١ . ١٩٩٠م . ص١١.

لِيَـــذُودَ عَـــنْ أَرْضٍ وَيَبْـــلُغَ مِـــنْ عَـــدُوٍ مَـــا يُرِيـــدُ[١٥]

أَمَّا عَن خَصَائِصِ بُنْيَانِهِ الشِّعريِّ شَكلاً وَمَضْمُوناً، فَمَا أَكْثَرَ مَن تَنَاوَلَهُ وَمَا أَبْدَعَ التَّقارِيظَ الَّتِي حَظِيَ بِهَا، **فَالْحَقُّ أَنَّ شَاعِرَنَا، كَأَنَّمَا جَلَى أَلْفَاظَهُ سِحْرَاً، وَضَمَّن بَيَانَهُ عِطْراً، وَسَلَكَهُ فِي سِمْطِ البَهَاءِ وَالْجَلالِ، وَوَشَّاهُ بِبُرْدِ النَّقاءِ وَالجمالِ، حَتَّى لَتَشْعُرَ وَأَنْتَ تَنْتَقِلُ مِن بَيتٍ إِلَى بَيْتٍ كَأَنَّكَ فِي رَوْضَةٍ غَنَّاءَ، بَدِيعَةِ الرُّواءِ، تَضُوعُ عِطْراً، تُشِعُّ سِحْرَاً، وَتَرْفُدُهَا مُوسِيقَى عَذْبَةٌ، تَسْتَمِدُّ، سِحْرَ وَقْعِهَا مِن التَّآلفِ والتَّناغُمِ بَينَ شَفَافِيَّةِ اللَّفظِ وَعُذُوبَةِ المَعْنَى، وَحُسنِ اختيارِ الأَوْزَانِ.** والحقُّ أَنِّي فِي كلِّ مَا قَرَأتُ عَن **البحيريِّ** لَم أَجِدْ مَن أَظْهَرَ مَثْلَبَاً وَاحِدَاً، أَوْ عَيباً، فِي شِعْرِ **البحيريِّ**، عَلَى أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ يَعْنِي أَنَّ شِعْرَهُ المثالَ وَالكمالَ، أَوْ أَنَّهُ خَالٍ مِن أَيِّ عَيبٍ، وَلكنَّ مُعظمَ شِعْرِهِ وَعُمُومِهِ، يَسْتَحقُّ فِعلاً التَّقَاريظَ الكثيرةَ الَّتِي خَصَّهُ بِهَا النُّقَّادُ وَالبَاحِثُونَ.

* * *

دمشق في ٧ / ٥ / ١٩٩٢ م.

[١٥] . م.س . ص٣٠/٣١ .

الفصل الثالث

البحري الغريب بين أهله

لا شَكَّ فِي أَنَّ الغُربَةَ قَاسِيَةٌ عَلَى المَرْءِ، صَعْبَةٌ. وَلا شَكَّ فِي أَنَّهَا تَتركُ فِي القَلْبِ حَسْرَةً وحزناً وَأَلَماً، هَذِهِ غُرْبَةُ الْجَسَدِ، فَكَيفَ لَوْكانتْ غُرْبَةُ الرُّوحِ ؟! بَلْ كَيفَ لَوْ كَانَتَا مَعَاً(١٦)؟!

عَلَى الرُّغمِ أَنَّه قُلِّدَ بِوِسَامِ (القُدسِ) أَوَّلِ أَوسِمَةِ الدَّولةِ الفلسطينيَّةِ، وعَلَى الرُّغمِ مِن كثيرٍ مِنَ الكُتُبِ الَّتِي عُنيتْ . عَلَى التَّخصيصِ . بشعرِهِ وَشَخْصِهِ، بالبحثِ والدِّراسَةِ، إلاَّ أَنَّ شَاعِرَنَا، وَكَمَا حُرِمَ في مطلعِ حَيَاتِهِ من كُلِّ ما قَدْ يُدْخِلُ إِلَى القلبِ إِشْرَاقَةَ أَمَلٍ، كَذَلِكَ لَمْ يَلْقَ حتَّى الآن مِنْ أُولِي الأَمْرِ وَالشَّأنِ والعزمِ، مَا يستحقُّ مِن عنايةٍ واهتمامٍ، بَلْ أقلِّهِمَا، وَلاَ سيَّمَا فِي نَشْرِ تُرَاثِهِ الشِّعريِّ الَّذِي وَقَفَهُ للوطنِ، لِفِلَسْطِينَ، حتَّى لتكادُ لا تَجِدُ مَكَانَاً فِي شِعْرِهِ إلاَّ لِفِلَسْطِينَ، وَإِنْ كَانَ فَللعُرُوبَةِ...فِلَسْطِينُ هِيَ العَينُ الَّتِي يَرَى بِهَا كُلَّ شَيءٍ؛ إِنْ خَاطَبَ الوَرْدَ خَاطَبَهُ بِاسْمِ فِلَسْطِينَ، وَرَآهُ بِعَينِ فِلَسْطِينَ، وَرَأَى فِلَسْطِينَ فيهِ، وَكَذَلِكَ النَّهرَ وَالفنَّ والحبَّ والْجَمَالَ...

١٦ . نشر هَذَا الفصل في جريدة الثقافة الأسبوعية . دمشق . العدد ٢٩ . في ١٧/١٠/١٩٩٢م.

وَلَـيسَ هَـذَا فَحسـبُ، فَإِنَّـكَ إِذَا دَخَلـتَ بيتَـهُ وَجَـدْتَ كُـلَّ شـيءٍ يَنْطِـقُ باسـمِ فِلَسْـطِينَ... الجِـدَارُ وَالبَـابُ والنَّافِـذَةُ... وَالـمقعدُ وَالطَّاوِلَـةُ...بَلْ كُـلَّ شيءٍ «لَقَـدْ حَوَّلَ دَارَتَـهُ الدِّمَشْـقِيَّةَ .كَمَـا يقـولُ الأُستاذُ **عبـد الهـادي البَّكـار** .إِلَى متحـفٍ زاخـرٍ بـالكثيرِ مـن الأَشـياءِ الفِلَسْـطِينيَّةِ، مِـن صُـوَرٍ، وَلَوْحَـاتٍ، ووثـائقَ، وَملابِـسَ تُراثيَّـةٍ شـعبيَّةٍ (فولكلوريَّـة) فِلَسْـطِينيَّةٍ، فَـإِذا بهَـذَا البيـتِ الدِّمَشْـقِيِّ (جُـزءٌ مـن فِلَسْـطِينَ ـ حَـيٌّ) يعـيشُ دَاخِـلَ صَـدْرِ دِمَشْـقَ، وَكَأَنَّـهُ القَلـبَ مِـن هَـذَا الصَّـدْرِ»١٧، فَـأيُّ بيـتٍ فيـهِ مثلُ مَا فِي هَذَا البيتِ ؟

وَالأَكثرُ مِن ذَلِكَ . وهَذَا مَا سَمِعْتُهُ منهُ، وَسَمِعَهُ كثيرونَ غَيرِي (وَكَأَنَّهُ يُقِيمُنَا شُهَدَاءَ عَلَى هَذِهِ الوَصِيَّةِ) . فَقَدْ أَوْصَى بِأَنْ يُوقَفَ بَيْتُهُ هَذَا . بَعْدَ وَفَاتِهِ، أَطَالَ اللهُ عُمْرَهُ . مَرْكَزَاً ثَقَافِيَّاً بِاسْمِ:

بَيْتِ فِلَسْطِينَ

(مَرْكَزِ الشَّاعِرِ **حَسَن البحيريَّ** الثَّقافي)

وَأَنْ تُخَصَّصَ فِيهِ قَاعَةٌ بِاسْمِ:

صالة حيفا

لِلأُمْسِيَاتِ الشِّعريَّةِ وَالمَعَارِضِ الفَنيَّةِ وَالمُحَاضَرَاتِ، وَقَاعَةٌ أُخْرَى بِاسْمِ :

قاعة الكرمل

لِلْمُطَالَعَةِ وَالتَّأليفِ. وَبَعْدَ هَذَا العَطَاءِ الَّذِي مَا (لِوَافِرِهِ مَزِيدٌ) يكتبُ وَيَقُولُ:

١٧ . عبد الهادي البكَّار: مقدِّمة ديوان: **لعيني بلادي** . ص٣٤.

هَـذَا عَطَـائِي . عَلَـى جَهْـدِ الـمُقِلِّ . لَكَـمْ
أَبْنَـــاءَ قَـــوْمِي وَلَـــمْ أَخْصُـــصْ بِـــهِ أَحَـــدَا

كَالعُشْـــبِ تَخْضَـــلُّ حَـــوْلَ القَبْـــرِ نُضْـــرَتُهُ
وَلَـــيْسَ يَعْـــرِفُ مَـــنْ فِـــي لَحْـــدِهِ رَقَـــدَا[١٨]

فَمَا الَّذِي قَدَّمناهُ **للبُحيريِّ** كَي لاَ نُشْعِرَهُ بالغُرْبَةِ سِوَى تَعْمِيقِ جُرْحِ هَذِهِ الغُرْبَةِ وَتَكْرِيسِهَا ؟!

والـمدهشُ حَقَّـاً أَنَّ شَـاعِرَنَا قَـدْ أَدْرَكَ بِحَدْسِـهِ الـمُبْدِعِ وَإِحْسَاسِـهِ الـمُلْهَمِ، مُـذْ كَـانَ يَافِعَـاً، وَفِي أَشعارِهِ الأُولَى، أَنَّـهُ سَـيَعِيشُ غَرِيبَـاً، وَلَـن يُقَـدَّرَ حَـقَّ قَـدْرِهِ، وَكَأَنَّـهُ كَـانَ يَقْـرَأُ صَـفْحَةَ الـمُسْتَقْبَلِ؛ هَـذِهِ الأَشْـعَارُ نَجِـدُهَا فِي مَجْموعَتِهِ الأُولَى : ((الأصائل والأسحار))

كَمَا نَجِدُ أَمْثَالَهَا مِنْ مَرَارَةِ الشُّعورِ بَأَسَى الغُرْبَةِ فِي مَجموعَاتٍ أُخْرَى.

وَالحقُّ أَنَّ تَسَلْسُلَهَا فِي الـمَجْمُوعَةِ . وَهُـوَ يَقِينَـاً غَـيرُ مَقْصُـودٍ . يَـدْعُو إِلَى الدَّهشةِ أَيْضَاً، إِذْ يَزْدَادُ هَذَا التَّعْبِيرُ تَعمُّقاً وَتَجَذُّراً فِي اللاَّحِقِ عَلَى السَّابِقِ، وَكَأَنَّهُ يَنْتَقِلُ بِنَا لا شُعُورِيًّا مِن أَدْنَى الـمُسْتَوَيَاتِ إِلَى أَعْلاهَا، فَيَبْدَأُ أَوَّل مَا يَبْدَأُ بِالْحَبِيبِ وَمَا أَوْرَثَهُ إِيَّاهُ مِن شُعُورٍ مُبَاكِرٍ بِالوحْدَةِ وَالغُرْبَةِ، فَيَقُولُ . وَإِنْ كَانَتْ الصَّورَةُ شَائِعَةً:

لِـــي حَـــبِيبٌ صَـــدَّ عنِّـــي وَتَـــوَلَّى وَقَسَـــا
بَـــاتَ فِـــي دُنْيَـــا الأَمَـــانِي نَاعِـــمَاً مُسْـــتَأنِسَا

١٨ . قرأت هذين البيتين في مخطوطات الشاعر.

وَأَنَـا وَالوَجْـدُ دَائِـي لاَ أَرَى لِـي مُؤْنِسَـا[١٩]

ثُـمَّ لِيَنْتَقِـلَ إِلَى صُرُوفِ الزَّمـانِ وَنوائبِـهِ الَّـتِي قَسَـتْ عَلَيـهِ أَيَّمَـا قَسْـوَةٍ، وَكَـانَ يَحْسَبُهَا فِي كُـلِّ مَـرَّةٍ قَـدْ انتهـتْ، وَلَكنَّهَـا لا تَلْبَـثُ أَنْ تعـودَ، فَيَتَجَمَّـلُ بِالصَّـبرِ، وَيَسْكُت عَن مُعَاتَبَةِ الزَّمانِ:

لَـــئِنْ عَـــادَ الزَّمَـــانُ وَشَـــدَّ حَرْبِـــي
وَكُنْـــتُ حَسِـــبْتُهُ أَنْهَـــى وَجَـــازَى!

فَكَـــمْ أَحْقَدْتُـــهُ بِجَمِيـــلِ صَـــبْرِي
وَطُـــولِ تَحَمُّلِـــي نُوَبَـــاً لِـــزَازَا

وَأَسْـــكَتُّ عَـــنْ مُعَاتَبَـــتِي زَمَانَـــاً
عَنِيـــدَاً مَـــا أَطَـــقْتُ لَـــهُ بِـــرَازَا ٢٠

وَلَكِـنَّ صُـرُوفَ الزَّمـانِ لاَ تَنْفَـكُّ تُعَـاوِدُهُ، وَتَـزْدَادُ قَسَـاوَةً، حـتَّى حَسِـبَ أَنَّ الزَّمَانَ قَدْ خَاصَمَهُ وَأَوْلاهُ ارْبِدَادَاً، عَلَى الرُّغْمِ من أَنَّ شَاعِرَنَا لَـمْ يُقابِلْهُ إِلاَّ بِالصَّبرِ وَالرِّضى؛ وَكأَنَّهُ يُعَوِّدُ نَفْسَهُ عَلَى تَحَمُّلِ الوُحْدَةِ وَالغُرْبَةِ:

وَخَاصَـــمَنِي الزَّمَـــانُ وَكَـــانَ عَـــوْنِي
وَوَجْـــهُ الـــدَّهْرِ أَوْلانِـــي ارْبِـــدَادَا

---

١٩ . حسن البحيري: **الأصائل والأسحار** . مطبعة الصباح . دمشق . ط٢ . ١٩٩٠م . ص٢٤.
٢٠ . حسن البحيري: **الأصائل والأسحار** . ص٣٦.

وَمَـــا أَبْقَـــتِ الأيَّـــامُ مِنِّـــي
طِـــرَافاً . يَجْتَنِيـــهَا . أَوْ تِـلادَا

تَـــوَلَّى وَهـــوَ يَعْـلَـــمُ أَنَّ مَـــا بِـــي
مِـــنَ الأَدْوَاءِ يَتَّقِـــدُ اتِّـــقَادَا

بَـــذَلْتُ لَـــهُ فُـــؤَادَ هَـــوًى غَرِيـــرِ
فَـــأَبْلَى بِالأَسَـــى الـــمُضْنِي الفُـــؤَادَا ٢١

فَمَـا كَـانَ مِـنْ شَـاعِرِنَا إِلاَّ أَنْ وَقَـفَ أَمَـامَ مَنَـابِعِ عُيُـونِ نَهْـرِ الْجَـالودِ الَّـتِي رَأَى مَاءَهَـا أَدْمُعَـاً، وَكَأَنَّهَـا قَـدْ هَزَّهَـا مَـا لاقَـاهُ وَسَـيُلاقِيهِ مِـن قَسَـاوَةٍ وَمُعَانَـاةٍ فَبَكَـتْ، لِيُخاطِبَ هَذِهِ العُيونَ قَائِلاً:

أَمْ أَنْـتِ يَـا أَعْيُنَنَـاً فَاضَـتْ مَـدَامِعُهَا
عَلَـالْحَصَـــى كَجَـــوَى الأَحْشَـــاءِ صَـــفَّاقِ

أَشْـجَاكِ هَـذَا الَّـذِي لاقَيْـتُ مِـنْ زَمَـنٍ
قَـاسٍ، وَمَـا أَنَـا مِـنْ تَصْـرِيفِهِ لاقِ ٢٢

٢١ . حسن البحيري: **الأصائل والأسحار** . ص٣٨ . ٣٩.
٢٢ . حسن البحيري: **الأصائل والأسحار** . ص٧٠.

وَلَكِـنَّ هَـذِهِ التَّلْـميحاتِ الـمُضَمَّنةِ دَلالاتٍ وَاضـحةً عَلَـى شُـعُورِ **البُحيـريِّ** بِالوُحْـدَةِ وَالغُرْبَـةِ، فِي ظِـلِّ سَـطْوَةِ الزَّمـانِ وَقَسْـوَتِهِ، لا تلبـثُ أَنْ تنقلـبَ إِلَى إِفصـاحٍ صَـرِيحٍ يَجْلُـوهُ الْحَـدْسُ الـمُبْدِعُ الَّـذِي يَتَجَـاوزُ حَاضِـرَ الزَّمـانِ . بِقَبَسٍ مِنَ الإِلْهَامِ الإِلهِيِّ . ليقرأَ صَفْحَةَ الـمستقبلِ عَلَى مَرَارَتِهِ مِن غَيْرِمَا تَهَيُّبٍ:

وَمَـا دُمْـتُ أَدْرِي أَنَّـهُ الـدَّهْرُ جَاهِـدَاً
يُفَضِّـلُ جَهْـلَ الجَاهِلَـينَ عَلَـى عِلْـمِي

فَمَـا نَفْـعُ عَتْبِـي وَالزَّمَـانُ كَمَـا أَرَى
وَهَـلْ هَـزَّهُ يَوْمَـاً عِتَـابِيَ أَوْ لَـوْمِي؟

لَـئِنْ لَـمْ يُقَـدِّرْنِي زَمَـانِي وَأَهْـلُهُ
وَأَسْـرَفَ دَهْـرِي فِـي عُقُـوقِي وَفِـي ظُلْمِـي

وَلَـمْ تُرِنِـي الأَيَّـامُ سَـاعَةَ رَاحَـةٍ
فَحَـارَبَنِي أَمْسِـي وَضَافَـرَهُ يَـوْمِي

سَيُنْصِـفُنِي الآتِـي بِمَـا أَنَـا أَهْـلُـهُ

وَذَاكَ عَزَائِـي فِـي مَصَـائِبِيَ الـدُّهْمِ !! [٢٣]

هَذِهِ هِيَ العبقريَّةُ وَقَدْ وَعَتْ ذاتَهَا، وَأَدركَتْ أَنَّهَا سَابِقَةٌ زَمَانَهَا، مثله فِي ذَلِكَ مثلُ **أَبِي حَيَّان التَّوْحِيدِيِّ** الَّذِي كَانَ فَنَّاناً غريباً بينَ أَهْلِ عَصْرِهِ، وَكانَ يُعَانِي وَحْشَةَ مَن يرتفعُ عَن أَهْلِ زَمَانِهِ وَيَتَقَدَّمُ عَلَيهِم»[٢٤]

وَتَتَعمَّقُ جِرَاحُ أَسَى الغربةِ وَمَرَارَتِهَا، وَتَتَّقِدُ جذوتُهَا فِي صدرِ شاعِرِنَا، لِمَا لاقاهُ مِن إِجْحَافٍ بِحقِّهِ، وَتَنَكُّرٍ لِجَمِيلِ صُنْعِهِ، فيقفُ حَائِراً لا يَدْرِي إِلَى مَن يبثُّ شَكْوَاهُ، حتَّى كانَ يَوْمَاً يُعَانِقُ الجُمَالَ، وَيُحلِّقُ فِي سِحْرِ عَوَالِمِهِ «فِي بَسَاتِينِ البَهْجَةِ بِعَكَّا ـ عام١٩٤٥م»، وَإِذْ بِهَذَا الشُّعورِ بِالغُرْبَةِ ينتزِعُهُ مِن لَذَائِذِ اسْتِمْتَاعِهِ بالجُمَالِ، فَيَقُولُ:

لَكِـنَّ رُوحِـيَ فِـي هَـذَا الجَـمَالِ وَمَـا
أَضْـفَى عَلَـى الكَـوْنِ مِـنْ حُسْـنٍ وَإِحْسَـانِ

ضَـلَّتْ فِـي سُـرُوبٍ مِـنْ تَغَرُّبِهَـا
أَسْـدَافُ هَـمٍّ كَجُنْـحِ اللَّيْـلِ غَيْـمَانِ

فَمَـا جُزِيـتُ بِغَـيرِ الضَّـغْنِ موجِـدَةً
لَـمْ أُوَفَّ سِـوَى أَبْـرَادِ نِسْـيَانِ

---

٢٣ ـ حسن البحيري: **الأصائل والأسحار** ـ ص ٩٩ ـ ١٠٠.

٢٤ ـ عزت السيد أحمد: **التوحيدي مؤسساً لعلم الجمال العربي** ـ مجلة المعرفة ـ دمشق ـ العدد ٣٣٤ ـ ١٩٩١م ـ ص٦٩.

فَعِشْـــتُ مِـــنْ وُحْـــدَتِي فِـــي عَابِسَـــاتِ دُجًـــى
وَهِمْـــتُ مِـــنْ غُرْبَـــتِي فِـــي تِيـــهِ حِرْمَـــانِ

سَـــــقَيْتُهُم فِـــي كُـــؤُوسِ الحُـــبِّ صَـــافِيَةً
مِـــنْ عَـــاطِرَاتِ سُـــــلافِي غَيـــرَ مَنَّـــانِ

فَجَرَّعُـــــونِي كُـــــؤُوسَ الـــــمُرِّ طَافِـــــحَةً
وَأَوْسَـــــعُونِي عَلَيْـــــهَا جَحْـــــدَ كُفْـــــرَانِ

أَحْيَـــا جَـــرِيحَ الأَمَـــانِي مُفْـــرَدَاً وَحِـــدَاً
بِغُرْبَـــةِ الـــرُّوحِ فِـــي أَهْـــلِي وَأَوْطَـــانِي[٢٥]

وَتَمْضِـي السُّـنونُ سِـراعاً تِبَاعَـاً، وَلا شِـيءَ يَتغيَّـرُ، فَيَتَحَـوَّلُ شُـعُورهُ بالغرْبَـةِ إِلَى هَـاجِسٍ، وَخَـوفٍ مِـن لِقَـاءِ ذَويـهِ، وَأَهليـهِ، خَشْـيَةَ أَنْ يُقَـالَ: **(من هَذَا الغريب ؟)**

بَلْ هَذَا مَا حَدَثَ فِعْلاً عِنْدَمَا دَعَاهُ أَحَدُ صَحْبِهِ إِلَى اجْتِمَاعٍ _ عِنْدَمَا كَانَ بِتُونَس . فِي مَقرِّ الجَامِعَةِ العَرَبِيَّةِ، عَامَ ١٩٨٥م، . مَعَ أَبْنَاءِ قَوْمِهِ، بَعْدَ أَنْ تَجَاهَلَهُ مُعْظَمُهُم، عَلَى جَلالَةِ قَدْرِهِ، فَقَالَ[٢٦]:

---

٢٥ . حسن البحيري : **لفلسطين أُغنِّي** . مطبعة دار الحياة . دمشق . ط١ .١٩٧٩م . ص١٢١، ١٢٣، ١٢٨.

٢٦ . حسن البحيري: **جنة الورد** . دار المعارف للطباعة . دمشق . ط١ .١٩٨٩م . ص٦٤ . ٦٥.

حَبِيـــبُ أُخُـــوَّةٍ، وَوَفِـــيُّ عَهْـــدٍ
لِـــدَفْقِ هَـــوَاهُ فِـــي صَـــدْرِي وَجِيـــبُ

دَعَـــانِي كَـــي أَكُـــونَ لَـــهُ رَفِيقَـــاً
إِلَـــى جَمْـــعِ لَـــهُ أَمْـــرٌ عَجِيـــبُ

فَقَـــومِي فِيـــهِ أَقْـــرَبُهُم بَعِيـــدٌ
عَـــن القُـــرْبَى وَأَبْعَـــدُهُم قَرِيـــبُ

وَمَـــا لِـــي بَـــينَ أَظْـــهُرِهِمْ مَكَـــانٌ
وَلاَ لِـــي مِـــنْ تَشَـــاوُرِهِم نَصِـــيبُ

فَقُلْـــتُ لَـــهُ وَفِـــي عُمْـــقِي جِـــرَاحٌ
لَهَـــا فِـــي كُـــلِّ جَارِحَـــةٍ دَبِيـــبُ:

إِذَا أَنَـــا صِـــرْتُ فِـــي قَوْمِـــي جَلِيسَـــاً
أَخَـــافُ يُقَـــالُ: مَـــنْ هَـــذَا الغَرِيـــبُ؟!

لا شَكَّ فِي أَنَّ الغُربَةَ قَاسِيَةٌ عَلَى المَرْءِ، صَعْبَةٌ. وَلا شَكَّ فِي أَنَّهَا تَترُكُ فِي القَلْبِ حَسْرَةً وحزناً وَأَلَماً، هَذِهِ غُرْبَةُ الجَسَدِ، فَكَيفَ لَوْكانتْ غُرْبَةُ الرُّوحِ ؟! بَلْ

كَيفَ لَوْ كَانَتَا مَعَاً ؟! إِنَّها بِالضَّرورَةِ أَقْسَى وَأَعْتَى، وَأَشدُّ إِيلاماً وإِحزاناً، لأَنَّها تَشْرَخُ النَّفْسَ شَرْخَاً، وَتَضَعُهَا أَمَامَ مُفْتَرَقِ الْخِيَارَاتِ الأَشدِّ مرارةً؛ الضَّيَاعُ، وَالتَّشَتُّتُ وَالفِصَامُ: خِيَارَاتٌ لَيْسَ بَينَهَا مُفَاضَلَةٌ، فَكُلُّها مُرَّةٌ، ذَلِكَ أَنَّ تَنَكُّرَ الأَهلِ لِلْمرءِ مِن غَيرِمَا حَقٍّ، وَظُلْمَهُم لَهُ، لا يَعدِلُهُ ظُلمٌ البتَّةَ مَهْمَا قَسَا، أَوْ كَمَا قَالَ **طَرَفَةُ بن العبد**:

وَظُلْـــمُ ذَوِي القُرْبَـــى أَشَـــدُّ مَضَاضَـــةً
عَلَـــى الـــمَرْءِ مِـــنْ وَقْـــعِ الْحُسَـــامِ الْـــمهَنَّدِ

وَعَلَى الرُّغمِ مِن ذَلِكَ، فَإِنَّ صدرَ شاعرِنَا أَرحبُ وَأَوسعُ بِكَثيرٍ مِمَّا نتصوَّر أَو نتخيَّلُ، وَلأَنَّ (الكريمَ لا يَستطيعُ إِلاَّ أَنْ يكونَ كَرِيماً) لَم يَجد **البحيريّ** أَمامهُ إِلاَّ الصَّفحَ وَالغفرانَ، عَلَى الرُّغمِ من كلِّ مَا كَانَ، وَلتظلَّ شخصيَّته متَّزنةً متوازنةً فَيَقُولُ ٢٧:

هُـــمْ عَمَّقُـــوا بِالـــمُدَى جُـــرْحَ الأَسَـــى وَأَنَـــا
أَوْلَيْـــتُهُم فِـــي الأَسَـــى صَـــفْحِي وَغُفْرَانِـــي

دمشق في ٧ / ٥ / ١٩٩٢ م.

٢٧ . حسن البحيري: **لفلسطسن أُغنِّي** . ص١٢٤ .

الفصل الرابع

البحيري صانع الجمال

سُبْحَانَ مَن جَلَى عَلَى اللِّسانِ الْحُسْنَ سِحْرَاً؛ إِنْ شُمَّ ضَاعَ عِطْرَاً، وَإِن تُؤمِّلَ شَعَّ فِكْرَاً، وَإِنْ أَنَالَهُ اللهُ رِضًى تَلألأَ فِي حُلْكَةِ الْعَتْمَةِ، تَلألأَ السَّنَى لأنَّهُ حِكْمَةٌ[٢٨].

تَأسِرُكَ فِي عَالَمِ **البُحَيريِّ** أمُورٌ كَثيرةٌ ... فَلا تستطيعُ التَّحررَ مِن أَسرِهِ، لأنَّ عَالَمَهُ يُدهِشُكَ دَائِماً بِالْجَدِيدِ السَّاحِرِ الآسِرِ؛ كُلَّما تَعمَّقتَ أَكثر فِي خَوضِ مَعَالِمِ عَوَالِمِ **البُحيريِّ** تَعرَّفتَ عَلَى جَوَانِبَ إِنْ خَلَتْ من الإدهاشِ لَمْ تَخلُ من إِثَارَةِ الإِعجابِ؛ الإعجاب الَّذِي يدعوكَ إِلَى الوقوفِ مِن جَدِيدٍ . بِشَكل مُتجدِّدٍ . لإِعادةِ النَّظَرِ فِي عَالَمِ **البُحَيريِّ** الْمُدهشِ الرَّيَّانِ بالسِّحرِ؛ سِحْرِ اللَّفظةِ الْمُوقَّعةِ، اللاَّفِتَةِ دَائِماً بِأَناقَتِهَا وَحُسْنِ موقِعِهَا وَبراعَةِ اختيارِهَا وَرَنَّتِها الدَّالَّةِ عَلَى معناها فِي سِيَاقِهَا ... هَكَذَا لفظةُ **البُحَيريِّ** دَائِمَاً. وَإِنْ كَانَ فِي أَلفاظِ شَاعِرِنَا بعضُ الغَرَابَةِ أحياناً، أو غَير الْمَألوفَةِ، فَإِنَّها مِمَّا لا يُستَطَاعُ وسمهُ إِلاَّ بالحسنِ والرَّشاقَةِ وَعمقِ الدَّلالَةِ.

ويضافُ إِلَى سحرِ اللَّفظةِ سِحرُ العِبَارةِ الْمُرصَّعةِ بِضُرُوبِ جَمَاليَّاتِ التَّراكيبِ اللُّغويَّةِ البَدِيعةِ؛ البَدِيعةِ بِمَا أُوتِيَ الشَّاعِرُ من قدرةٍ فائقةٍ عَلَى حَشْدِ

٢٨ .كتب هذا الفصل في الأَصل مقدِمةً لقصيدة: في مرسم الطَّبيعة، للشَّاعر البحيري.

مُقَوِّمَاتِ الْجَمَال الأَدَبِيِّ وَسَلْكِهَا في أَسْمَاطِ التَّراكيبِ اللُّغَويَّةِ الفريدَةِ، لتأتي وكأَنَّها صنوفُ لآلِئٍ متلألئةٍ؛ تَخَالها من إشراقِهَا شُموساً وُضَّاءَةً يُبدِّدُ حَرَّها افتِرَارُ ثُغُورِهَا عَن ابتساماتٍ آسرةِ الوَقْعِ والْمَنْظَرِ، فتقودُكَ من حيثُ تَدري ولا تَدري إِلَى عَوَالِمِ الْخَيَالِ الفاتنِ بِسحْرِهِ، فَتُحَلِّقُ هناك، وتُحلِّقُ، وَتُحلِّقُ، وَلا ترغبُ في الرُّجوعِ، لأَنَّ نَشوَةَ هَذِهِ العوالِمِ نَوعيَّةٌ قَلَّ من حَظِيَ بها، ومن حَظِيَ بِهَا عَزَّ عليه فراقُهَا، إِنَّها نَشْوَةُ معايشةِ الْجَمَال ... وَللجَمالِ وَقْعٌ فِي النَّفْسِ وَأَثَرٌ لا يدركُهُ عَلَى حَقِيقَتِهِ إلا عُشَّاقُ الْجَمَال، العُشَّاقُ الوَلِهُونَ لا سِواهم، فكلُّ النَّاسِ تُحبُّ الْجَمَال وَتَنْسَاقُ وَرَاءَ أَسْرِهِ وَسِحْرِهِ، ولكنَّ الْجَمَال لا يعطي سِرَّهُ إِلاَّ لِمَن هامَ بِهِ هِيامَ الارتِواءِ .... يا إِلهي ما أَشدَّ سطوةَ الْجَمَال، وَمَا أَجهل مَن يَغَارُ أَو يَحْسُدُ أَو يَعْتَبُ عَلَى عَاشِقِ الْجَمَال أَنْ يَذَوبَ فِي حَضْرَةِ الْجَمَال.

والبُحَيريّ عَاشِقٌ لِلجَمَالِ، وعِشْقُهُ الْجَمَال عِشْقُ غَاوٍ وَلِهٍ مُتَطَرِّفٍ فِي حُبِّ الْجَمَال، يُحبُّ الْجَمَال حُبًّا يَفوقُ الوصفَ وَالْخَيَالَ، يَتَجاوزُ حُبَّ الْمُحِبِّينَ لأَحبابهم، فَيَفْدِيهِ لِذَلكَ بروحِهِ وَمَا مَلَكَتْهُ يَدُهُ، وَيَسعى إِلَيهِ وَلَو كَانَ بَينَ أَقَاصِي النُّجومِ .... بَل الْجَمَال هُوَ مَالِكُ أَمْرِهِ؛ فَإِنْ رَشَدَ فَلِلْجَمَالِ رُشْدُهُ، وَإِنْ ضَلَّ فَبِإِغْوَاءِ الْجَمَال وَفِتْنَةِ سِحْرِهِ. وَهَذا مَا عَبَّرَ عَنْهُ قَبْلَ شَهْرٍ وَسِتٍّ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً مِنْ هَذِهِ اللَّحْظَةِ فَقَالَ:

أُحِبُّ الْجَمَال وَأَفْدِي الْجَمَال
بِرُوحِي وَمَا مَلَكَتْهُ يَدِي

وَإِنِّي لأَسْعَى إِذَا مَا اسْتَطَعْتُ
إِلَيهِ وَلَو كَانَ فِي الْفَرْقَدِ

إِذَا مَـــا رَشَـــدْتُ فَقُولُـــوا الْجَمَـــال
وَوَحْـــيَ الْجَمَـــال هُـــوَ الْمُرْشِـــدِي

وَإِنْ أَنَـــا يَوْمَـــاً ضَـــلَلْتُ فَقُولُـــوا
غَـــوَاهُ الْجَمَـــال ... فَلَـــمْ يَهْتَـــدِ!

والَّذِي يعشقُ الْجَمَالَ هذا العشقَ يعرفُ كيفَ يتعاملُ معه، يَعْرِفُ أَينَ يبحثُ عنه، يعرفُ كيفَ يقتنصهُ فِي عَتْمَةِ الزَّمَانِ، فِي تسارعِ وَتَائِرِهِ، يَعْرِفُ كَيفَ يُجَمِّدُ الزَّمانَ لِيَسْتَرِقَ مِنْهُ اللَّحَظَاتِ وَيُخرجُهَا من هذا الزَّمانِ الَّذِي لا يَتَوقَّفُ أَبَدَاً، وَلاَ يستطيع إيقافه عند اللَّحَظَاتِ الْجَمِيلَةِ إِلاَّ الْمُبْدِعُونَ الْحَقِيقيُّونَ، وَالْمبدعونَ العَبَاقرةُ هم الَّذِين يعرفونَ كيفَ يقتنصون اللَّحظاتِ الأَجْمَلِ لَيَخْلُدُوا بِهَا وَيُخَلِّدُوهَا عَلَى الزَّمَانِ، لأَنَّهم الأَقدرُ بِإِلْهَامِهِم الأكثر إشراقاً، وقلوبهم الأبعد إبْصَاراً، عَلَى إِيقافِ الزَّمانِ أَمَامَ أَعينِهِم لِيَرْسموا بِضُرُوبِ رِيَشِهِم الإبداعيَّةِ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الفذَّةِ الفريدةِ الَّتِي لا تتكرَّرُ من عمر الزَّمَانِ.

والبُحَيـــريُّ، مـن دون مِـراءٍ أَو جَـدَلٍ، يَعـرِفُ كيـفَ يصـنعُ الْجَمَـال، يَعْـرِفُ أَيـنَ يُوْقِـفُ الزَّمَـانَ لِيُسَـلِّطَ عَلَيـهِ أَضْـوَاءَ إِشْـرَاقَةِ إِلْهَامِـهِ الْجَلِيـلِ الرَّائِـعِ، وذُوْنَمَـا جَـزْمٍ، مِـعَ عَـدَمِ وُجُـودِ الْمُبَالَغَـةِ أَقـولُ: إِنَّـكَ تَكَـادُ لاَ تَجِـدُ قَصِـيدَةً مـن قَصَـائِدِ **البُحَيـــريِّ** غَـيرَ مُطـرَّزَةٍ بِهَـذِهِ اللَّحظَـةِ الْمُنْتَزَعَـةِ مِـن سَـيَّالَةِ الـزَّمَنِ الْمُتَـدَفِّقِ مِـن غيرمـا تَوَقُّـفٍ، لتبـدو لوحَـةً فَرِيـدَةً مُفْعَمَـةً بالطَّرَافَـةِ وَالأَصَـالَةِ؛

صُورَةً وَتَصْوِيراً. وَالنَّمَاذِجُ الدَّالَّةُ عَلَى ذَلِكَ جِدُّ كَثِيرَةٍ حَتَّى حِرْتُ حَقًّا فِي الاختيارِ.

لنقف أَوَّلاً عندَ هَذَا القَمَرِ الَّذِي أَطَلَّ من بين الغيومِ مُشْرِقاً فَوَقَعَ شعاعُهُ عَلَى مَاءِ الْخَلِيجِ فَبَدَا الْمَوْجُ الْمُنْدَاحُ فَوقَ صَفحَةِ الْمَاءِ فِي ضِيَاء القمر كأَنَّهُ يضحكُ مَرِحَاً، ويُصَفِّقُ. وانْظُر إِلَى الكنايةِ عَن صوتِ الْمَوْجِ بالتَّصفِيقِ مَا أَجْمَلَهَا مَعَ تَضَاحُكِ هَذَا الْمَوْجِ:

بَعَثَ الْمُنَى فَهَفَتْ إِلَى آفَاقِهِ
قَمَرٌ أَطَلَّ مِنَ الْغُيُومِ وَأَشْرَقَا

أَلْقَى عَلَى مَاءِ الْخَلِيجِ شُعَاعَهُ
فَتَضَاحَكَ الْمَوجُ اللَّعُوبُ وَصَفَّقَا

وَلنَقِفْ فِي الدِّيوانِ ذاتِهِ «أفراح الرَّبيع» عِنْدَ زهرةٍ وَضَعَهَا أَحَدُ أَصدقائِهِ فِي عروَةِ عِطافِهِ فَخَالَهَا عانقَتْ قلبَهُ وناجتْهُ، وعندما أَرادَ هَذَا الصَّديقُ أَنْ يلبسَهُ الْمِعْطَفَ قَالَ لَهُ: لا!...

أَخَافُ عَلَى زَهْرَتِي أَنْ تَمُوتَ
وَسَلْوَةُ رُوْحِيَ فِي عِطْرِهَا

لَقَدْ سَمِعَتْ مِنْ فُؤَادِي الْجَرِيحِ
شَجَاهُ فَكَنَّتْهُ فِي سِرِّهَا

وَبَثَّـــــــتْ أَسَـــــــاهُ لِنُظَّارِهَـــــــا
بِبَسْـــــمَةِ شَـــــجْوٍ عَلَـــــى ثَغْرِهَـــــا

اللهِ... اللهِ... أَلَيْسَ سِرُّ خُلُودِ هَـذِهِ الأَبْيَـاتِ هُـوَ عَـيْنُ سِرِّ خُلُودِ قَـوْلِ **عنترة**:

وَلَقَـــدْ وَدِدْتُ تَقْبِيـــلَ السُّـــيُوفِ لأَنَّهَـــا
لَمَعَـــــتْ كَبَـــــارِقِ ثَغْـــــرِكِ الْمُتَبَسِّـــــمِ

فَعَلَى الرُّغمِ مِن انقضاءِ عَهْـدِ السُّيوفِ تَظَلُّ هَـذِهِ الصُّورةُ مؤتَلِقَـةً يَـرُوعُ النَّفْسَ رَوْعُهَـا، إِنَّهَـا لَحْظَةٌ فريدةٌ من عمرِ الزَّمانِ لا تَتَكَرَّرُ وَلَمْ تَتَكَرَّرْ، **وَعَنْتَـرَةُ** وَحْـدهُ الَّـذِي استطاعَ إِيقـافَ الزَّمَـانِ عنـدهَا ليقتنِصَـهَا منـهُ اقْتِنَاصَـاً وَيُخرجهـا لنـا وللتَّاريخِ من سيرورةِ هذا الزَّمانِ. وَكذلك تَمَاماً شأنُ زهرةِ **البُحيريِّ** الَّتِي سَمِعَتْ شَـجَاهُ وَكَنَّتْهُ فِي سرِّهَا وحتَّى لا يدرك الرَّانون إِلَيهَـا ما سمعته من شَـجَنِ شَـاعِرَنَا بَثَّتْ مَا أَدركته إِلَيهِم بابتسامةٍ ... صُورةٌ مُبْدَعَةٌ حَقًّا. وَلَوحَةٌ نَفِيسةٌ رَائِعَةٌ.

وانْظُرْ كَذَلِكَ إِلَى قَولِهِ:

وَإِنَّا لَنَهْوَى . عَلَى كُلِّ حَالٍ . طُيُوفَ الأَمَانِي عَلَى غَدْرِهَا!

فَرِيـدَةٌ أَيضَـاً هَـذِهِ الصُّـورَةُ وَطَرِيفَـةٌ؛ أَلَيسَـت الأَمَـانِي هِـيَ نسـغُ حيـاةِ الإِنسـانِ؟ وسرُّ أَسرارِ طَلَبِهِ الْحياةَ وَتَشَبُّثِهِ بِهَا؟ فكيفَ تكونُ غادرةً؟! هَذَا هُوَ

السرَّ الَّذِي لا نعترفُ بِهِ أَحياناً، فكثيراً ما تخذلنا الأَمانِي أَو نُقصرُّ عَن بلوغِهَا فَنَتَجَاهَلُ ذلكَ ونتناساهُ وننسجُ أَمانيَّ أُخرى نَلهَثُ وَرَاءَهَا من جديدٍ، ولذلكَ، شئنا أَم أَبينا، نَظَلُّ نهوى الأَمَانِي عَلَى غَدرِهَا.

وانظرْ كذلكَ إِلَى طَيفِ الْحَبِيبِ فِي هَذِهِ الصُّورةِ الرَّائعةِ الْخَالِدَةِ:

يَا فَاتِــنَ الطَّلْعَـةْ يَا صِنْوَ غُـصْنِ الْبَانْ
طَيْفُـكَ فِي دَمْــعَةْ رَفَّــتْ عَلَى الأَجْـفَانْ

وَانظرْ إِلَى قَوْلِهِ:

الأَمَــانِي؟... مَــا حِيلَتِــي بِالأَمَــانِي
إِنْ تَكُــنْ أَنْــتَ صُــغْتَهَا يَــا جَنَــانِي

وَانْظرْ أَيضاً إِلَى قَوْلِهِ مُجيباً محبوبَتَهُ الَّتِي قَالتْ لَهُ معَ مطلعِ الفَجْرِ: انظرْ إِلَى الْفَجْرِ مَا أَروعَ انْبِثَاقَهُ؛ فَقَالَ مُرْتَجِلاً:

لاَ .. لَـنْ أُجِيـلَ الطَّـرْفَ فِـي فَجْـرٍ بَـدَا
وَأَنَــا أَسِــيرُ الْحُسْــنِ بَــيْنَ يَــدَيكِ

أَتَلَفُّــتٌ لِلْفَجْــرِ وَهْــوَ بِنُــوْرِهِ
يُــوْمِي مِــنَ الأُفْــقِ الْبَعِيــدِ إِلَيْــكِ

أَنَــا إِنْ وَقَفْــتُ عَلَــى سَــنَاكِ تَلَفُّتِــي
فَــلأَنَّ فَجْــرِيَ لاَحَ مِــنْ عَيْنَيــكِ

وَانْظرْ إِلَى قَوْلِهِ:

أَيَــذُودُ عَــنْ فَمِنَــا الــدَّخِيلُ رَغِيْفَنَــا
وَيُبِيْحُــــهُ فِـــي أَرْضِـــنَا لِكِلاَبِـــهِ؟!

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

كَانَــتْ لَنَــا الأَرْضُ مَجْــدَاً وَالْعُــلاَ حَسَــبَاً
وَالْيَــوْمَ نَحْــنُ فَــلاَ مَجْــدٌ وَلاَ حَسَــبُ

وَمَــنْ يَكُــنْ عَــنْ وِجَــارِ الصِّــلِّ فِــي سِــنَةً
أَفَاقَــهُ مِــن كَــرَى أَحْلاَمِــهِ الْعَطَــبُ!!

وَانظرْ إِلَى العيدِ كَيفَ يَرَاهُ شاعرٌ مَجروحُ الفؤادِ من حرقةٍ وَأَلَمٍ عَلَى ما هُوَ عَلَيهِ وَطَنُهُ، إِنَّهُ ليسَ كَكُلِّ النَّاسِ فِي تَلَقِّي فرحةِ العيدِ لأَنَّ العيدَ لا طعمَ لَهُ مَعَ الذُّلِّ وَالْهَوانِ، وَهَلْ يمكنُ أَنْ نَفْصِلَ بَينَ ذُلِّ الوطنِ وَذُلِّ أَبْنَاءِ هَذَا الوَطَنِ إِنَّهَا معادلةٌ وَاضِحَةُ الْمَعَالِمِ وَلَكِنْ هَيْهَات ... مَنْ يَدْرِي:

يُهَنِّئُنِــي بِالْعِيــدِ مَــنْ ظَــنَّ أَنَّ لِــي
سِــوَى بُــرْءِ أَوْطَــانِي الْجَرِيحَــةِ عِيْــدَا

أَرَى الشَّــرْقَ مَطْــوِيَّ الْفُــؤَادِ عَلَــى الأَسَــى
فَــــلاَ عِيــــدَ إِلاَّ أَنْ أَرَاهُ سَــــعِيدَا

وَالبُحَيريُّ رَسَّامٌ بَارِعٌ يرسمُ بالْكَلِمَاتِ رَوَائِعَ اللَّوْحَاتِ الأَخَّاذةِ بِأَلْقِهَا ورونقها وبديعِ تَدَاخُلِ أَلوَانِهَا ... يَتفنَّنُ فِي مَزْجِ الْكَلِمَاتِ وَيَعْرِفُ كيفَ يُدَاخِلُهَا وَيُخَارِجُهَا مِنْ وَمَعَ بَعْضِهَا بَعْضَاً حتَّى ليكادُ يَجْعَلُ الْكَلِمَاتِ أَمَامَكَ مَرْئِيَّةً تشفُّ عن الصُّورةِ بهدوءٍ سَاحِرٍ أَخَّاذٍ آسرٍ فتشعرُ أَنَّ نفسكَ واقفةٌ أَمامَ صورةٍ حقيقيَّةٍ؛ تَبَعَاً لطبيعةِ الْمَشْهَدِ الْمَرْسُومِ فَإِمَّا تكونُ لوحةً منتزعةً مِنْ سياقِ الزَّمَنِ، تَنَوُّعِ الطَّبيعَةِ ... أَو أَنَّكَ تكونُ أَمَامَ مَشْهَدٍ حَرَكِيٍّ مُصَوَّرٍ مُتْلِىءٍ بالْحَيويَّةِ مُفْعَمٍ بالْحَمَالِ ... وَمَا أَقَلَّ مَا تَفْتَقِرُ إِلَى ذَلكَ فِي أَشْعَارِ **البُحَيريِّ** الَّذِي أُوتِي مَلَكَةً خَلاَّقَةً فِي صُنْعِ الْجَمَالِ، وَهُنَا أَيْضَاً نَجِدُنَا مُخْتَارِينَ فِي اخْتِيارِ النَّمَاذِجِ الدَّالَّةِ عَلَى بَرَاعَةِ **البُحَيريِّ** فِي التَّصويرِ؛ التَّصويرِ الْمَشْهَدِيِّ وَالتَّصويرِ الْحَرَكِيِّ.

لننظرْ أَوَّلاً إِلَى مَشْهَدِ مِيَاهِ الينْبُوعِ وَهِيَ تَتَدفَّقُ بينَ الأَزهارِ وَتَحْتَ الأَغصانِ، وَلنُمْعِنْ فِي هَذِهِ الصُّورةِ الرَّائِعَةِ الَّتِي تَمرُّ أَمَامَ أَعينِنَا؛ الوَاحِدَةُ تلو الأُخْرَى:

وَيَنْبُوْعَ مَاءٍ جَرَى بَاسِمَاً
يُنَاجِي حَصَاهُ سِقَاطَ الثَّمَرْ

عَدَا ضَاحِكَاً بَينَ زَهْرِ الرِّيَاضِ
يُبَشِّرهَا بِطُلُوعِ القَمَرْ

فَمَالَتْ عَلَيهِ صُنُوفُ الوُرُودِ
فَأَفْضَى إِلَيْهَا بِسِرَ ... يُسَرْ

فَأَحْقَـــــــدَهَا سِـــــــرُّهُ فَانْثَنَـــــــتْ
لِتَفْضَـــــــحَ لِلزَّهْـــــــرِ ذَاكَ الْخَبَـــــــرْ

هُنَالِـــــك عِنْـــــدَ انْـــــدِفَاقِ الْعُيُـــــونِ
وَفَـــــوْقَ بِسَـــــاطٍ نَـــــدِيٍّ عَطِـــــرْ

حَبِيـــــبٌ يُعَـــــانِقُ تَحْـــــتَ الْغُصُـــــونِ
حَبِيبَـــــاً ... عِنَـــــاقَ النَّـــــدَى .. وَالزَّهَـــــرْ

فَـــــإِلْفٌ شَـــــكَا هَـــــوْلَ البِعَـــــادِ
وَإِلْـــــفٌ بَكَـــــى مِـــــنْ صُـــــرُوفِ الغِيَـــــرْ

فَهَـــــاجَ هَـــــدِيلُ الْحَمَـــــائِمِ دَمْـــــعُ
عَلَـــــى صَـــــفَحَاتِ الْخُـــــدُودِ انْحَـــــدَرْ

وَأَصْـــــغَى الْجَـــــوَى عَـــــذَبَاتِ الغُصُـــــونِ
كَـــــأَنَّ الْجَـــــوَى فِـــــي الْغُصُـــــونِ اسْـــــتَتَرْ

حَقًّا إِنَّكَ لتشعر وَكَأَنَّكَ أَمَامَ مَشْهَدٍ سينمائيٍّ يَبْدَأُ من نَقَاءِ مِيَاهِ اليَنْبُوعِ وَبُدُوِّ حَصَاهُ جَلِيَّةً فِي قَرَارَةِ مَاءِ النَّهرِ مُرْتَجَّةً من ارْتِجَاجِ صَفْحَةِ الماءِ إِذْ تَسَّاقَطُ عليها الثِّمارُ فَتَبْدُو الْحَصَى وَكَأَنَّها تُنَاجِي سِقَاطَ الثَّمَرِ، ثُمَّ تنتقلُ آلةُ التَّصويرِ بِحَرَكَةٍ شاعريَّةٍ إِلَى ضفَّةِ النَّهْرِ لتصوِّرَ الورودَ وَهِيَ متمايلةٌ عَلَى الْمَاءِ كَأَنَّهَا تنظرُ إِلَى انعكاسِ عِنَاقِ الْحَبِيْبَينِ فِيهِ وَالأَغصانُ تُظَلِّلُهُمَا وَالأَزْهَارُ تُحِيطُ بِهِمَا ... وبينما أعينهما تُفضي بالشَّكوى إِلَى بعضِهَا بَعْضَاً تنتقلُ فِي التَّصويرِ لترافقَ تَحوُّلَ هديلِ الْحَمَائِمِ إِلَى أدمعٍ تَأسَى لِمَا فيهِ الْحَبِيبَانِ مِن شَجَنٍ ... ثُمَّ كيفَ تَتَأَوَّدُ الأَغصانُ كَأَنَّهَا تَسْتَعِرُ مِن أَلَمِ جَوَى الْحَبيبينِ أَيضَاً.

لِنَنْظُر الآنَ إِلَى تَصويرِ مَشهدِ الغُرُوبِ بِعَدَسَةِ **البُحَيريِّ** الشَّاعِرِيَّةِ كَيفَ يَكُونُ:

جَنَحَتْ ذُكَاءُ إِلَى الْمَغِيبِ فَوَشَّعَتْ
جُونَ الْغُيُومِ بِعُسْجُدٍ وَضَّاءِ

فَكَأَنَّ تِبْرَ أَصِيلِهَا لَمَّا بَدَا
مُتَوَهِّجَاً فِي اللُّجَّةِ الزَّرْقَاءِ

هَيْمَانَ رَفَّ عَلَى بِسَاطٍ أَزْرَقٍ
قَدْ جُنَّ مِنْ شَجَنٍ لِبَيْنِ ذُكَاءِ

دَرْبٌ مِنَ العِقْيَانِ قُدَّ أَوْ أَنَّهُ
لَهَبٌ تَلاَعَبَ فَوْقَ وَجْهِ الْمَاءِ!

وَانظرْ كَذَلِكَ إِلَى هَذِهِ اللَّوْحَة الْبَدِيعةِ الَّتِي تبدُو لَنَا فيها زُجَاجةٌ شَفَّافةٌ، وَتَمَعَّنْ كيفَ نَقَلَتْهَا لَنَا رِيشةُ **البُحَيريِّ** الشَّاعِرَةِ:

وَزُجَاجَـــــــةٍ بَيْضَـــــــاءَ بَلُّورِيَّـــــــةٍ
لَبِسَـــــتْ مِـــنَ النُّـــورِ الوَضِـــيءِ رُوَاءَ

فَزُجَاجُهَـــا نُـــورٌ ... وَنُـــورٌ مَاؤُهَـــا
فَهـــيَ السَّـــنَاءُ بَـــدَا يَضُـــمُّ سَـــنَاءَ

مُلِئَـــتْ فَشَـــفَّتْ عَـــنْ ضَـــمِيرِ ضَـــمِيرِهَا
حَتَّـــى لَتَحْسَـــبُهَا الظُّنُـــونُ خَـــلاَءَ

رَقَّـــتْ فَكَـــادَتْ أَنْ تَكُـــونَ تَوَهُّمـــاً
وَصَـــفَتْ فَكَـــادَتُ أَنْ تَكُـــونَ هَـــوَاءَ

إِنَّ مَشَـاهِدَ **البُحَيـريِّ** وَلوحاتِـهِ الفاتنَـةَ الرَّائعَـةَ البديعَـةَ كَثِـيرَةٌ جـدُّ كثـيرةٍ، وَعَلَـى مـا يظنُّـهُ الكثـيرُ إِسـهاباً في عرضِـهَا فإِنَّنـا نشـعرُ بالتَّقصـيرِ إِزَاءَهَـا، وَهِـيَ بِمُجمَلِهَـا تسـتحقُّ فعـلاً وقفـاتٍ لا وقفـةً، وعرضـاً موسَّـعاً شـاملاً لا مـوجزاً مبتَسَـراً كمـا فعلنـا، والَّـذِي فَـرَضَ علينـا هَـذِهِ الوقفـةَ الْمُبْتَسَـرَةَ هُـوَ أَنَّ شـاعرنا أَولانـا شَـرَفَ تَقْـدِيمِ قصـيدةٍ عُنوانُهَـا يُختَصـرُ فيمـا سَـبَقَ وَأَسـلفنا مـن اقْتِنَـاصِ اللَّحَظَـاتِ الفَرِيـدَةِ النَّـادِرَةِ مـن عُمْـرِ الزَّمَـانِ، وفِي

رَسْـمِ اللَّوحَـاتِ الرَّشِـيقةِ البَارِعَـةِ مـن اخْتِلاجَـاتِ الـنَّفْسِ وَمَشَـاهِدِ الطَّبيعَـةِ، إِنَّهَا :

« فِي مَرْسَمِ الطَّبِيْعَةِ »

فَمَا هُوَ هَذَا الْمَرْسَمُ وَأَينَ هُوَ؟

جاءَ فِي دِيْبَاجَةِ القَصِيدَةِ قَولُ الشَّاعرِ **البُحيري**: «يوم الأَربعاءِ فِي السَّادسِ والعشرينَ من جمادى الآخرة عام ١٤١٢هـ. الأَوَّل من كانون الثَّاني (يناير) عام ١٩٩٢م. نُظِمَتْ هَذِهِ القصيدةُ فِي حَدِيقَةِ دَارَةِ أَخِي الْحَبيبِ، شَاعِرِ الْحُبِّ وَالغَزَلِ:

«الشَّيخ سلطان بن علي العويس»

القائمة فِي «سهلِ الزَّبَدَانِي» الْمُطَرَّزِ الأَدِيمِ بالنَّضَارَةِ وَالغَضَارَةِ، وَالْمُحْتَضَنِ بِسَلاسِلِ جِبَالٍ شَامِخَةِ السُّمُوِّ ...

وَفِي جَوْلَةٍ عَلَى مُرْتَفَعَاتِ .. «بلودان» .. وَقَدْ زَمَّلَ الثَّلجُ بِنَصَاعَةِ بَيَاضِهِ كُلَّ مَا نَدَفَ عَلَيهِ ... فَكَانَتْ مناظرُ كُلِّ اتِّجَاهٍ لَوحَاتٍ فَنِّيَّةً، رَائِعَةَ الْجَمَالِ، سَاحِرَةَ الفُتُونِ، تروقُ الأَبصارَ، وَتَسْتَبِي القُلوبَ، وَهِيَ تَرِفُّ بِرَوْعَةِ إِشْرَاقِهَا فِي مَرْسَمِ الطَّبيعةِ السَّمَاويِّ ..».

فِي خَاتِمَةِ هَـذِهِ الدِّيباجَـةِ يَخْتَصِـرُ **البُحَيـريُّ** مُرَادَنَـا مِـن التَّقْـدِيمِ وَمُبْتَغَانَـا، وَيُكَثِّفُهُ؛ نَعَمْ، إِنَّ الَّذِي قامَ بِهِ شَاعِرُ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ **حَسَنُ البُحَيريِّ** هُوَ تَسْلِيطُ أَضوائِهِ عَلَى هَذِهِ الْمَنَاظِرِ وَاللَّوحاتِ وَتَصْويرُ لَحَظَاتِهَا النَّادرةِ الفَريدَةِ تَصويراً أَنيقَاً مُفْعَمَاً بالْجَمَالِ. وَلَيْسَ **البُحَيريُّ** وحدهُ عَاشِقَاً لِلجَمَالِ وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ وَاحِدٍ قَادِرَاً عَلَى تَصْوِيرِ الْجَمَالِ، وَلَيْسَ **البُحيريُّ** وَحْدهُ صَانِعَاً لِلْجَمَالِ وَلَكِنَّ **البُحَيريَّ**

وَاحِدٌ مِنْ قِلَّةٍ يعرفونَ كَيْفَ يَتَصَيَّدُونَ الجَمَالَ الَّذِي يَسْكُبُونَهُ فِي قَوَالِبِهِم الفَنِّيَّةَ. وَتَتَبُّعُ قَصَائِدِ دَوَاوِينِهِ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ.

تَخَيَّل أَنَّ غُرْفَةً أَو مَكَاناً طُلِيَ كُلُّ مَا فِيهِ، وَهُوَ، بِلَوْنٍ وَاحِدٍ . أَنَّى كَانَ هَذَا اللَّونُ . أَلا يُثِيرُ ذَلِكَ شُعُوراً بِالاشمئزَازِ أَو الأَرَقِ أَو الضَّجَرِ أو السُّكُونِ الْمُخِيفِ ... بَلَى، وَبِكُلِّ تَأكيدٍ، وَلَكِنْ عِندمَا يكونُ الثَّلْجُ هُوَ الَّذِي يُغَطِّي وَجْهَ الثَّرَى بِكُلِّ مَا حَوَى فَإِنَّ فِي الأَمْرِ كَلاماً آخر يُقَالُ لأَنَّ الثَّلْجَ وَحدهُ مِن بَينِ الأَشْياءِ هُوَ الَّذِي يُسْتَحَبُّ مَنْظَرُهُ حَتَّى وَإِنْ صَبَغَ كُلَّ شَيءٍ بِكُرَيَّاتِهِ البلوريَّةِ، بَلْ كُلَّمَا كَثُرَ كَانَ أَشَدَّ تَأثيراً، وَأَقْدَرَ عَلَى بَعْثِ نَشْوَةِ الجَمَالِ بل الرَّوْعَةِ فِي النَّفْسِ ... وهٰذا عَيْنُهُ مَا حَدَا **بِالبُحَيريِّ** إِلَى خَلْعِ إِهَابِ شَيْبِ السِّنينَ وَإِحْلالِ بَرَاءَةِ الطُّفُولَةِ مَحَلَّهَا ليطلقَ العنانَ لإِلْهَامِهِ وَذَاتِهِ فِي مُعَايَشَةِ هَذَا الْجَمَالِ الباهرِ مُعَايَشَةً نَوعِيَّةً انْجَلَتْ فِي قَصيدَةٍ فَاتِنَةٍ لَمْ تَسْتَطِعْ بَرَاءَةُ الطُّفُولَةِ أَنْ تَفْرِضَ إِيقَاعَهَا فِي التَّعْبِيرِ عَن هَذَا الْجَمَالِ شِعْرَاً وَإِنْ كَانتْ مُتَجَلِّيَةً فِي كُلِّ صُورةٍ وَتَعْبِيرٍ وَبَيْتٍ، وَكَأَنَّهُ يَرَى الثَّلْجَ لأَوَّلِ مَرَّةٍ يَلُفُّ أَدِيمَ الأَرْضِ ... الدَّهْشَةُ ... الفَرَحُ ... السُّرُورُ ... النَّشْوَةُ ... التَّحْلِيقُ ... الأَحْلامُ ....

لَقَدْ بَرَعَ **البُحَيريُّ** فِي إِسْقَاطِ مَشَاعِرِهِ عَلَى الطَّبيعةِ فَرَأَى كُلَّ شَيءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرضِ يَكَادُ يَرْقُصُ نَشوَةً وَطَرَباً مِن أَسْرِ الْجَمَالِ وَسِحْرِهِ وَلاَ سِيَّمَا أَنَّ النَّفْسَ كَانتْ قَدْ سَكِرَتْ مِنْ وَقْعِ تَسَاقُطِ حَبَّاتِ الثَّلجِ الَّتِي يُدَاعِبُهَا النَّسِيمُ فَتَرُوحُ مُتَمَايِلَةً تَمَايلَ رَاقِصَةٍ كَظِلِّ الرُّوحِ رَشَاقَةً وَخِفَّةً.

بَاهِرَةٌ هِيَ الطَّبيعَةُ وَهِيَ مُتَّشِحَةٌ بِهَذَا السِّحرِ الْخَلابِ الَّذِي تَآلَفَ تَآلُفَ العَلاماتِ الْمُوسيقِيَّةِ مَعَ بَعْضِهَا بَعْضَاً لِتَنْسُجَ (سيمفونيَّةَ) الرُّوحِ، «أوبرا» الْخُلُودِ الَّتِي تَنْسَابُ فِي النَّفْسِ مُرْهَفَةً رَقِيقَةً فَتَأخُذُ بِمَجَامِعِهَا فَلا تستطيعُ الإِفلاتَ مِن

أَسْرِ سِحْرِهَا، لِتَغْدُوَ النَّفسُ فَجأَةً وَكَأَنَّهَا وحيدةٌ عَلَى الأَرضِ قَبْلَ أَنْ ينزلَ إِليهَا آدمُ؛ مِثَالَ الوُضَاءَةِ وَالطُّهرِ؛ لَمْ تَعْرِفْ شَيئاً مِن الْمَآثِمِ وَالْخَطَايَا بَعْدُ ...

وَرَفَّــتْ عَلَيهَــا فِــي انْطِلاَقَــةِ صَــفْوِهَا
وَضَــاءَةُ طُهْــرٍ لاَ يَطُــوفُ بِــهِ ظَــنُّ

كَيَــــوْمٍ رَأَى بِكْــــرَ الطَّهَــــارَةِ آدَمٌ
عَلَيهَــا وَقَــدْ صَــافَى مَرَابِعَهَــا الأَمْــنُ

وَمَــا مَــسَّ وَطءٌ مِــنْ خُطَانَــا أَدِيــمَهَا
وَلاَ اسْــوَدَّ فِيهَــا مِــنْ مَآثِمِنَــا دَجْــنُ

وَلَــمْ يَهْــمِ مِــن جُــرْحٍ دَمٌ فَــوْقَ تُرْبِهَــا
وَلَــمْ يُجْرِ دَمْعَاً مِن مَآقِي الآسَى حُزْنُ

وَلِـذَلِكَ أَنَّ أَجلَـت الطَّـرْفَ فِي جَنَبَـاتِ الأَرْضِ خِلْتَهَـا ثُغُـوراً تَفْتَـرُّ عَـن ابْتِسَامَاتٍ تَنْبَثِقُ مِنْهَا الأَصْبَاحُ، فَأَنْوَارُ الثَّلْجِ تَعْمُرُ الأَرْضَ، تَعْمُرُ الأَشْيَاءَ ...

فَكَانَــتْ رِحَــابُ الأَرْضِ دُنْيَــا رَوَائِــعٍ
جَلاَهَــا عَلَــى جُــدْرَانِ مَرْسَــمِهِ الفَــنُّ

الله .. الله .. أيها البُحَيريُّ .. يَا شَاعِرَ الْحُبِّ وَالْجَمَالِ ... كَيفَ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَأخُذَ بِمَجَامِعِ أَلْبَابِنَا أَيُّهَا الشَّاعِرُ؟!

قُلتُ، وَأُعِيدُ القَوْلَ:

سُبْحَانَ مَن أَعْطَى.

سُبْحَانَ مَن أَلْهَم.

سُبْحَانَ مَن وَهَب.

سُبْحَانَ مَن جَلَى عَلَى اللِّسانِ الْحُسْنَ سِحْرَاً؛ إِنْ شُمَّ ضَاعَ عِطْرَاً، وَإِن تُؤمِّلَ شَعَّ فِكْرَاً، وَإِنْ أَنَالَهُ اللهُ رِضًى تَلألأَ فِي حُلْكَةِ الْعَتْمَةِ، تَلألأَ السَّنَى لأَنَّهُ حِكْمَةٌ.

قَدْ يَسْتَسْهِلُ اللِّسانُ سَبيلَ الْمَدْحِ فَيَسْتَرْسِلُ، وَقَدْ يغويهِ أَنْ يَصِفَ مِن فِتْنَةِ الْمَرْأَى فَيَعْتَسِفُ. وَلَكِنْ قَدْ يَنْفِرُ اللَّفظُ عن الثَّغْرِ، أَو يَفِرُّ الْمَعْنَى مِنْ دَوْحَةِ الفِكْرِ، وَكَمَا أَنَّ ذَلِكَ قَدْ يِرْجِعُ إِلَى النُّفورِ فَقَدْ يَرْجِعُ كَذَلِكَ إِلَى العَجْزِ أَو الْخَوفِ أَو الرَّهْبَةِ أَو كُلِّهَا مَعَاً، وَهَذَا مَا يَجِدُهُ مُرِيدُ الكَلامِ عَن **البُحَيريِّ** وَشِعْرِهِ إِبَّانَ مُعَايشتِهِ أَو بَعْدَ الْخُرُوجِ مِن هَذِهِ الْمُعايشَةِ. لأَنَّ الدَّهْشَ الَّذِي يَعْتَوِرُهُ يَجْعَلُهُ يُلْقِي كُلَّ أَسْلِحَتِهِ النَّقْدِيَّةِ وَالبَلاغِيَّةِ أَمَامَ شُمُوخِ شِعْرِ **البُحَيريِّ**.

تمـوز ١٩٩٦م

الفصل الخامس

عاش غريبا وحارب غريبا

عاش غريباً ومات غريباً
الكلمة التي ألقيتها في تأبين الشاعر المرحوم
في المركز الثقافي العربي
بمدينة معضمية الشام في ١٩٩٨/١١/٣

حَبِيبُ أُخُوَّةٍ، وَوَفِيُّ عَهدٍ
لِدَفقِ هَوَاهُ فِي صَدرِي وَجِيبُ
دَعَانِي كَي أَكُونَ لَهُ رَفِيقَاً
إِلَى جَمعٍ لَهُ أَمرٌ عَجِيبُ
فَقَومِي فِيهِ أَقرَبُهُم بَعِيدٌ
عَن القُربَى وَأَبعَدُهُم قَرِيبُ
وَمَا لِي بَينَ أَظـهُرِهِم مَكَانٌ
وَلاَ لِي مِن تَشَاوُرِهِم نَصِيبُ
فَقُلتُ لَهُ وَفِي عُمقِي جِرَاحٌ
لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ دَبِيبُ:
إِذَا أَنَا صِرتُ فِي قَومِي جَلِيساً
أَخَـافُ يُقَالُ: مَن هَذَا الغَرِيبُ؟!
من هذا الغريب؟

هذا ما كان يهجس به **البحيري**، وهذا ما كان بكل تأكيد يعذِّبه، فلا شَكَّ فِي أَنَّ الغُربَةَ قَاسِيَةٌ عَلَى المَرءِ، صَعبَةٌ. وَلا شَكَّ فِي أَنَّهَا تَترُكُ فِي القَلبِ حَسرَةً وحزناً وَأَلَماً، هَذِهِ غُربَةُ الجَسَدِ، فَكَيفَ لَوكانت غُربَةُ الرُّوحِ ؟! بَل كَيفَ لَو كَانَتَا مَعاً ؟! إِنَّهَا بِالضَّرورَةِ أَقسَى وأعتَى، وَأَشدُّ إِيلاماً وإِحزاناً، لأَنَّهَا تَشرَخُ النَّفسَ شَرخَاً وسعاً، وتعمِّق الهوى بينها وبين الآخرين، وَتَضَعُهَا أَمَامَ مُفتَرَقِ الخِيَارَاتِ الأَشدِّ مرارةً؛ الضَّيَاعُ، وَالتَّشَتُّتُ وَالفِصَامُ: خِيَارَاتٌ لَيسَ بَينَهَا مُفَاضَلَةٌ، فَكُلُّها مُرَّةٌ، وهنا أجدني أقول:

من أين أبدأ ؟ ماذا أقول ؟ أين أنتهي ؟ لست أدري !! فأمام العظماء تحار الكلمات، تصغر الرُّؤى، تتوقف عقارب السَّاعات.

وكلَّما ازداد الخطب جللاً كانت مساحات التَّعبير أصغر، والمسافات الواصلة أكبر ... **والبحيريُّ** عند من يعرف قدره واحدٌ من العظماء حقًّا، وفقدُ العظماء خطبٌ جليل.

ولكن، وليس من سوء حظِّ **البحيريِّ** وحسب، بل من سوء حظِّ الشِّعر والمتلقين، أنَّه لم ينصف، ولم يتبوء ما استحقَّ من مكانةٍ وأهميَّةٍ ... فقد بدأ شاعرنا الفقيد حياته غريباً، ومضى فيها غريباً، وغادرها غريباً.

إِنَّه عَلَى الرُّغمِ من تقليده وِسَامَ (القُدسِ) أَوَّلَ أَوسِمَةِ الدَّولةِ الفلسطينيَّةِ، وعَلَى الرُّغمِ مِن كثيرٍ مِنَ الكُتُبِ والمقالات الَّتِي عُنيت . عَلَى التَّخصيصِ . بشعرِهِ وَشَخصِهِ، بحثاً ودراسَةً، إِلاَّ أَنَّ شَاعِرَنَا، وَكَمَا حُرِمَ فِي مطالعِ حَيَاتِهِ من كُلِّ ما قَد يُدخِلُ إِلَى القلبِ إِشرَاقَةَ أَمَلٍ، كَذَلِكَ لَم يَلقَ طيلة حياته مِن أُولِي الأَمرِ وَالشَّأنِ والعزمِ، مَا يستحقُّ مِن عنايةٍ واهتمامٍ، بَل أقلِّهِمَا، وَلاَ سيَّمَا فِي نَشرِ تُرَاثِهِ الشِّعريِّ الَّذِي وَقَفَهُ للوطنِ، لِفِلَسطِينَ، حتَّى لتكادَ لا تَجِدُ مَكَانَاً فِي شِعرِهِ إِلاَّ

لِفِلَسطِينَ، وَإِن كَانَ فَللعُرُوبَةِ...فِلَسطِينُ هِيَ العَينُ الَّتِي يَرَى بِهَا كُلَّ شَيءٍ؛ إِن خَاطَبَ الوَردَ خَاطَبَهُ بِاسمِ فِلَسطِينَ، وَرَآهُ بِعَينِ فِلَسطِينَ، وَرَأَى فِلَسطِينَ فيهِ، وَكَذَلِكَ النَّهرَ وَالفنَّ والحبَّ والجَمَالَ...

وَلَيسَ هَذَا فَحسبُ، فَإِنَّكَ إِذَا دَخَلتَ بيتَهُ وَجَدتَ كُلَّ شيءٍ يَنطِقُ باسمِ فِلَسطِينَ... الجِدَارُ وَالبَابُ والنَّافِذَةُ... وَالمقعدُ وَالطَّاوِلَةُ...بَل كُلَّ شيءٍ «لَقَد حَوَّلَ دَارَتَهُ الدِّمَشقِيَّةَ إِلَى متحفٍ زاخرٍ بالكثيرِ من الأَشياءِ الفِلَسطِينيَّةِ؛ مِن صُوَرٍ، وَلَوحَاتٍ، ووثائقَ، وَملابِسَ تُراثيَّةٍ فِلَسطِينيَّةٍ، فَإِذا بِهَذَا البيتِ الدِّمَشقِيِّ (جُزءٌ من فِلَسطِينَ . حَيٌّ) يعيشُ دَاخِلَ صَدرِ دِمَشقَ، وَكَأَنَّهُ القَلبَ مِن هَذَا الصَّدرِ»، فَأيُّ بيتٍ فيهِ مثلُ مَا فِي هَذَا البيتِ؟

وَالأَكثرُ مِن ذَلِكَ فَقَد أَوصَى . على علم الجميع . بِأَن يُوقَفَ بَيتُهُ هَذَا . بَعدَ وَفَاتِهِ، رحمه الله . مَركَزَاً ثَقَافِيَّاً بِاسمِ: بَيتِ فِلَسطِينَ: (مَركَزِ الشَّاعِرِ حَسَن البحيريِّ الثَّقافي) وَأَن تُخَصَّصَ فِيهِ قَاعَةٌ بِاسمِ: صالة حيفا لِلأُمسِيَاتِ الشِّعريَّةِ وَالمَعَارِضِ الفَنيَّةِ وَالمُحَاضَرَاتِ، وَقَاعَةٌ أُخرَى بِاسمِ : قاعة الكرمل لِلمُطَالَعَةِ وَالتَّأليفِ. وَبَعدَ هَذَا العَطَاءِ الَّذِي مَا (لِوَافِرِهِ مَزِيدٌ) يكتبُ وَيَقُولُ:

هَـذَا عَطَـائِي . عَلَـى جَهـدِ المُقِـلِّ . لَكَـم
أَبنَـاءَ قَـومِي وَلَـم أَخصُـص بِـهِ أَحَـدَا

كَالعُشـبِ تَخضَـلُّ حَـولَ القَبـرِ نُضـرَتُهُ
وَلَـيسَ يَعـرِفُ مَـن فِـي لَحـدِهِ رَقَـدَا

فَمَا الَّذِي قَدَّمناهُ **للبُحيريِّ** كَي لاَ نُشعِرَهُ بالغُربَةِ سِوَى تَعمِيقِ جُرحِ هَذِهِ الغُربَةِ وَتَكرِيسِهَا؟!

والمدهشُ حَقَّاً أَنَّ شَاعِرَنَا قَد أَدرَكَ بِحَدسِهِ المُبدِعِ وَإِحسَاسِهِ المُلهَمِ، مُذ كَانَ يَافِعَاً، وَفِي أَشعارِهِ الأُولَى، أَنَّهُ سَيَعِيشُ غَرِيبَاً، وَلَن يُقَدَّرَ حَقَّ قَدرِهِ، وَكأَنَّهُ كَانَ يَقرَأُ صَفحَةَ المُستَقبَلِ؛ هَذِهِ الأَشعَارُ نَجِدُهَا فِي مُجموعَتِهِ الأُولَى: ((**الأصائل والأسحار**))، كَمَا نَجِدُ أَمثَالَهَا مِن مَرَارَةِ الشُّعورِ بَأَسَى الغُربَةِ فِي مَجموعَاتٍ أُخرَى.

وَالحقُّ أَنَّ تَسَلسُلَهَا فِي المَجمُوعَةِ . وَهُوَ يَقِينَاً غَيرُ مَقصُودٍ . يَدعُو إِلَى الدَّهشَةِ أَيضَاً، إِذ يَزدَادُ هَذَا التَّعبيرُ تَعمُّقَاً وَتَجَذُّراً فِي اللاَّحِقِ عَلَى السَّابِقِ، وَكَأَنَّهُ يَنتَقِلُ بِنَا لا شُعُورِيًّا مِن أَدنَى المُستَوَيَاتِ إِلَى أَعلاهَا، فَيَبدَأُ أَوَّل مَا يَبدَأُ بِالحَبيبِ وَمَا أَورَثَهُ إِيَّاهُ مِن شُعُورٍ مُبَاكِرٍ بِالوحدَةِ وَالغُربَةِ، ثُمَّ لِيَنتَقِلَ إِلَى صُرُوفِ الزَّمانِ وَنوائبِهِ الَّتِي قَسَت عَلَيهِ أَيَّمَا قَسوَةٍ، وَكَانَ يَحسَبُهَا فِي كُلِّ مَرَّةٍ قَد انتهت، وَلَكنَّهَا لا تَلبَثُ أَن تعودَ، فَيَتَجَمَّلُ بِالصَّبرِ، وَيَسكُت عَن مُعَاتَبَةِ الزَّمانِ، وَلَكِنَّ صُرُوفَ الزَّمانِ لاَ تَنفَكُّ تُعَاوِدُهُ، وَتَزدَادُ قَسَاوَةً، حتَّى حَسِبَ أَنَّ الزَّمَانَ قَد خَاصَمَهُ وَأَولاهُ اربِدَادَاً ... عَلَى الرُّغمِ من أَنَّ شَاعِرَنَا لَم يُقابِلهُ إِلاَّ بِالصَّبرِ وَالرِّضى؛ وَكأَنَّهُ يُعَوِّدُ نَفسَهُ عَلَى تَحَمُّلِ الوَحدَةِ وَالغُربَةِ، قال:

وَخَاصَـــمَنِي الزَّمَـــانُ وَكَـــانَ عَـــونِي
وَوَجـــهُ الـــدَّهرِ أَولانِـــي اربَـــدَادَا

وَمَـــا أَبقَـــتِ الأيَّـــامُ مِنِّـــي
طِرَافَـاً . يَجتَنِيهَـا . أَو تِـلادَا

تَـــوَلَّى وَهـــوَ يَعلَـــمُ أَنَّ مَـــا بِـــي
مِـــنَ الأَدوَاءِ يَتَّقِـــدُ اتِّـــقَادَا

بَـــذَلتُ لَـــهُ فُـــؤَادَ هَـــوًى غَرِيـــرِ
فَـــأَبلَى بِالأَسَـــى الـــمُضنِي الفُـــؤَادَا

وَلَكِنَّ هٰذِهِ التَّلميحاتِ المُضَمَّنةِ دَلالاتٍ وَاضحةً عَلَىٰ شُعُورِ **البُحيريِّ** بِالوُحدَةِ وَالغُربَةِ، فِي ظِلِّ سَطوَةِ الزَّمانِ وَقَسوَتِهِ، لا تلبثُ أَن تنقلبَ إِلَى إِفصاحٍ صَرِيحٍ يَجلُوهُ الحَدسُ المُبدِعُ الَّذِي يَتَجَاوزُ حَاضِرَ الزَّمانِ . بِقَبَسٍ مِنَ الإِلهَامِ الإِلهِيِّ . ليقرأَ صَفحَةَ المستقبلِ عَلَى مَرَارَتِهِ مِن غَيرِ مَا تَهَيُّبٍ فقال:

وَمَـا دُمـتُ أَدرِي أَنَّـهُ الـدَّهرُ جَاهِـدَاً
يُفَضِّـلُ جَهـلَ الجَاهِلَـينَ عَلَـى عِلـمِي

فَمَـا نَفـعُ عَتبِـي وَالزَّمَـانُ كَمَـا أَرَى
وَهَـل هـزَّهُ يَومَـاً عِتَـابِيَ أَو لَـومِي؟

لَـــئِن لَـــم يُقَـــدِّرنِي زَمَـــانِي وَأَهـــلُهُ
وَأَسرَفَ دَهـرِي فِـي عُقُـوقِي وَفِـي ظُلمِـي

وَلَـــم تُرِنِـــي الأَيَّـــامُ سَـــاعَةَ رَاحَـــةٍ
فَحَـــارَبَنِي أَمسِـــي وَضَـــافَرَهُ يَـــومِي

سَيُنصِـــفُنِي الآتِـــي بِمَـــا أَنَـــا أَهـــلُهُ
وَذَاكَ عَزَائِـــي فِـــي مَصَـــائِبِيَ الـــدُّهمِ !!

وَتَتَعمَّقُ جِرَاحُ أَسَى الغربةِ وَمَرَارَتِهَا، وَتَتَّقِدُ جذوتُهَا فِي صدرِ شاعِرِنَا، لِمَا لاقاهُ مِن إِجحَافٍ بِحقِّهِ، وَتَنَكُّرٍ لِجَمِيلِ صُنعِهِ، فيقفُ حَائِراً لا يَدرِي إِلَى مَن يبثُّ شَكوَاهُ، حتَّى كانَ يَومَاً يُعَانِقُ الجَمَالَ، وَيُحلِّقُ فِي سِحرِ عَوَالِمِهِ، وَإِذ بِهَذَا الشُّعورِ بِالغُربَةِ ينتزِعُهُ مِن لَذَائِذِ استِمتَاعِهِ بالجَمَالِ، فَيَقُولُ:

لَكِـــنَّ رُوحِـــيَ فِـــي هَـــذَا الجَمَـــالِ وَمَـــا
أَضفَى عَلَى الكَونِ مِن حُسنٍ وَإِحسَانِ

ضَـــلَّت فِـــي سُـــرُوبٍ مِـــن تَغَرُّبِهَـــا
أَســـدَافُ هَـــمٍّ كَجُنـــحِ اللَّيـــلِ غَيمَـــانِ

فَمَـــا جُزِيـــتُ بِغَـــيرِ الضَّـــغنِ موجِـــدَةً
وَلَـــم أُوَفَّ سِـــوَى أَبـــرَادِ نِســـيَانِ

فَعِشتُ مِن وُحدَتِي فِي عَابِسَاتِ دُجًى
وَهِمـــتُ مِـــن غُربَـــتِي فِـــي تِيـــهِ حِرمَـــانِ

سَـــقَيتُهُم فِـــي كُـــؤُوسِ الحُـــبِّ صَـــافِيَةً
مِـــن عَـــاطِرَاتِ سُـــلافِي غَيـــرَ مَنَّـــانِ

فَجَرَّعُـــونِي كُـــؤُوسَ الـــمُرِّ طَافِـــحَةً
وَأَوسَـــعُونِي عَلَيـــهَا جَحـــدَ كُفـــرَانِ

أَحيَـــا جَـــرِيحَ الأَمَـــانِي مُفـــرَدَاً وَحِـــدَاً
بِغُربَـــةِ الـــرُّوحِ فِـــي أَهلِـــي وَأَوطَـــانِي

وَعَلَى الرُّغمِ مِن ذَلِكَ، فَإِنَّ صدرَ شاعرِنَا كان أَرحبُ بِكَثيرٍ وَأَوسعُ مِمَّا نتصوَّر أَو نتخيَّلُ، وَلأَنَّ (الكريمَ لا يَستطيعُ إِلاَّ أَن يكونَ كَرِيماً) لَم يَجد **البحيريّ** أَمامهُ إِلاَّ الصَّفحَ وَالغفرانَ، عَلَى الرُّغمِ من كلِّ مَا كَانَ، وَلتظلَّ شخصيَّته متَّزنةً متوازنةً فقال:

هُم عَمَّقُوا بِالمُدَى جُرحَ الأَسَى وَأَنَا
أَولَيتُهُم فِي الأَسَى صَفحِي وَغُفرَانِي

فعذراً أيها البحر، أيها البحيريُّ، قد جرت العادة والعرف على أن يقف الأحياء في ذكرى موتاهم؛ ذاكري محاسنهم، مترحمين عليهم، مسامحين إيَّاهم، وإذ بنا نقف في حضرة ذكراك نذكر مساوئنا ونطلب من روحك أن تسامحنا وتترحم علينا؛ سامحنا على تقصيرنا، وعلى ما فرَّطنا به في حقك علينا وعلى الوطن وعلى حقِّ الوطن فيك.

وعذراً أيها القلب البحر أيضاً على أنَّا لم يسعفنا الحظُّ في تكريمك في هذا المركز قبل أن يخطفك الموت منَّا، فالقدر وحده هو الذي حال دون ذلك ... **ولكن حسبك أنَّك متَّ في حبِّ الوطن، وستحيا بعد موتك في حبِّ الوطن.** وليست حيفا؛ عروس قلبك وحدها، بل فلسطين كلُّها ستظلُّ حيَّة في ضمائرنا، بل كلُّ شبر من تراب وطننا الكبير المقدس، ليس إحياءً لذكراك وحسب بل إحياءً لكرامتنا.

دمشق في ١٩٩٨/١٠/٣٠م

الفصل السادس

شهادات في البحري

حَسَنُ البحيريُّ يَتحدَّى أَسلِحَتِي النَّقديَّةِ، بِشِعْرِهِ وَإِنسانيَّتِهِ، لأَنَّهُ يَخْرُجُ عَن المَدَى المُجْدِي لِهَذِهِ الأَسلحةِ، حَسْبِي أَنْ أَقرأَهُ مِن خِلالِ مَسْعَايَ اللاَّهِثِ وَرَاءَ لَحْظَةِ صفاءٍ، وَنَادراً مَا لا أَجِدُهَا فِي شعرِهِ وَفِي شخصِهِ؛ عَرَفْتُ فِي حَيَاتِي أُدباءَ كثيرينَ وفنَّانينَ مبدعينَ، وَلَكِن مثلَ هَذَا التَّطابقِ التَّام بينَ الإِنسانِ وَالمبْدَعِ لَم أَجِدْهُ إِلاَّ عندَ **حسن البحيريِّ**. هَكَذَا تَصوَّرنَا الأَديبَ الشَّاعرَ مُنْذَ الصِّغَرِ: كُتْلَةً مِن الإِحساسِ، مَوْكِباً مِن الصَّفاءِ، شُعلةً مِن إِخْلاصٍ وَوَفَاءٍ، قَلباً مَبْسُوطاً مِثلَ وَرْدَةٍ مُفَتِّحةٍ، نَفْساً رَضيَّةً مِثلَ أُمْسِيَةٍ مُتَوسِّطيَّةٍ. وكنَّا نَعْتَقِدُ أَنَّ **جوثه** هُوَ الأُنموذجُ الوَحِيدُ. وَحِينَ كَبُرْنَا أَدْرَكْنَا أَنَّ العَرَبَ قَدَّموا بَعْضَ نَمَاذج، وَكانَ **حسنُ البحيريُّ** وَاحِداً مِن أَكثرِهَا إِشْعَاعاً. وَفِي عَصْرٍ تَتَبَاعَدُ فِيهِ شَخْصيَّةُ الرَّجُلِ عَن شخصيَّةِ إِبداعِهِ حتَّى لَيَتَمَنَّى المرءُ أَحياناً أَلاَّ يَتَعَرَّفَ عَلَى أَصْحَابِ بَعْضِ الإِبْدَاعَاتِ، يَبْدُو لِي **حَسَنُ البحيريُّ** وَاحَةَ تَطَابُقٍ بينَ الفَنِّ والفنَّانِ[٢٩].

الدُّكتور حسام الخطيب

٢٩ . اسماعيل مَرْوَة : **البحيري؛ موقف ورسالة** . المقدمة . ص٨.

أَوَّلاً:

هَذَا الشَّاعرُ **البحيريُّ**، مِن أَيِّ نَبْعٍ نَهَل ؟ مِن أَيِّ وَرْدٍ رَشَف ؟ فِي أَيِّ سَمَاءٍ حَلَّق ؟ بَأَيِّ وَادٍ مِن أَودِيَةِ الجِنِّ طَاف ؟...كثيراً مَا أَلَحَّتْ عَلَينَا هَذِهِ التَّسَاؤلاتُ، وَنَحْنُ فِي مَطلعِ صِبَانَا فِي الأَربعيناتِ، نَحتَفِلُ بِجَمَاعَةِ (أبُّولو) وَشُعَرَاءِ المَهْجَرِ، **وإبراهيم ناجي، وعلي محمود طه**... وَقَدْ كُنَّا نَتَخَاطَفُ دَوَاوِينَ **علي طه**، وَنَتَغنَّى بِهَا، وَنَسْتَظْهِرُهَا، حَتَّى طَلَعَ عَلَينَا **البحيريُّ** بِدِيوَانِهِ الأَوَّلِ: «الأَصَائِلُ وَالأَسْحَارُ »، فَسَحَرَنَا وَشَدَّنَا، وَأَخَذَ بِمَجَامِعِ قَلْبِنَا، وَسَمَّيناهُ **علي محمود طه** فِلَسْطِين[٣٠].

هارون هاشم رشيد

٣٠ . من مقدمة هارون هاشم رشيد لمجموعة (حيفا في سواد العيون) للشاعر البحيري . دمشق . ط١ .١٩٧٣م . ص١٧/١٨.

ثانياً :

إِنَّهُ قَارِئٌ للقَدِيمِ وَالْحَديثِ، ذَائِبٌ فِيهِمَا، طَالِعٌ مِنْهُمَا بِوَجْهِهِ الْجَدِيدِ، وَجَبْهَتِهِ المشرقَةِ الفَرِيدَةِ... فَهُوَكَيَانٌ مُنْفَرِدٌ فِي حَدِّ ذَاتِهِ، أَصِيلُ النَّغَمِ، عَزِيزُ الْجَرْسِ، شَجيُّ النَّبرةِ. فِيهِ **البحتريُّ، والمتنبِّي، وابن المعتزِّ، وابن حمديس، وعلي محمود طه، والشَّابي، وأحمد شوقي، وأحمد رامي**... يَمْتَزِجُ فِيهِ القَدِيمُ بِالحديثِ... وَتَتَلاقَى فِي أَعْمَاقِهِ جَمَاعَةُ (أَبُّولو) بِجَماعَةِ (المهجرِ)، وَلَكِنْ تَلاقِي الرَّوافدِ فِي النَّهرِ الكَبِيرِ... [31]

هارون هاشم رشيد

[31] . هارون هاشم رشيد: **حيفا والبحيري** . ص٣٧٣.

إِنَّ شَاعِرَنَا **البحيريِّ** ذُو نَسِيجٍ مَتِينٍ مُحْكَمٍ، وَأُسلوبٍ مُشْرِقٍ سَلِسٍ، وَأَلفاظٍ زَاهِيَةٍ بِظِلالِهَا وَإِيحَاءَاتِهَا الشِّعريَّةِ، وَيَبْدُو أَنَّ اطِّلاعَهُ عَلَى تُرَاثِنَا القَدِيمِ وَالْحَديثِ اطِّلاعٌ عَمِيقٌ متشبِّثٌ أَورثَهُ هَذَا البَيَانَ المُشْرِقَ الأَخَّاذَ[٣٢].

الدُّكتور ناصر الدِّين الأسد

٣٢ . د. ناصر الدين الأسد: **محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن** . مطبعة لجنة البيان العربي . القاهرة . ١٩٦١م . ص١٨٥.

هَذَا الشَّاعرُ، مِن المُؤسِفِ أَنْ يَكُونَ كَثِيرٌ مِن جُمْهُورِ الشِّعرِ وَالأَدَبِ العَرَبِيِّ المعاصِرِ مَا يَزَالُونَ يَجْهَلونَ حَتَّى الآنَ اسْمَهُ، وَهُوَ الَّذِي تَعَلَّمْنَا فِي بِلادِ الشَّامِ، وَمُنْذُ عَامِ النَّكبةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ، كَيفَ نُحَوِّلُ حُزْنَنَا عَلَى ضَياعِ فِلَسْطِينَ إِلَى غَضَب، كَمَا تَعَلَّمَ مِنْهُ أَبنَاءُ فِلَسْطِينَ المَجِيدَةَ كَيفَ يُحَوِّلونَ غَضَبَهُم إِلَى ثَوْرَة...[٣٣]

عبد الهادي البكَّار

[٣٣] . عبد الهادي البكَّار: مقدمة لعيني بلادي. ص٢٦.

البحيريُّ مَشْهُودٌ لَهُ بِالفَصَاحَةِ وَالبَلاغَةِ، وَهُوَ حُجَّةٌ فِي اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ وَآدابِهَا، وَيَعرِفُ ذَلِكَ عَنهُ مَن التَقَاهُ أَو قَرَأَ دَوَاوِينَهُ وَتَرْجَمَاتِهِ[٣٤].

الدُّكتور نسيب نشاوي

[٣٤] . صبري يوسف دياب: الوطنية في شعر حسن البحيري . دار المغارف للطباعة . الجزائر . ط١ . ١٩٨٥م . من مقدمة الكتاب . ص١٠.

لا شَكَّ فِي أَنَّ **البحيريَّ** يَحْتَلُّ مَكَانَ الصَّدَارَةِ فِي الشِّعرِ الفِلَسْطِينِيِّ المُعَاصِرِ، وَإِنْ حَاوَلُ بَعْضُ النُّقَّادِ تَجَاهُلَهُ وَإِبْعَادَ اسْمِهِ عَن السَّاحَةِ الأَدَبِيَّةِ، فَإِنَّ الأيَّامَ القَادِمَةَ سَتَحْمِلُ اسْمَ **البحيريّ**، وَسَتَضَعُهُ فِي مَكانَتِهِ المُنَاسِبَةِ عَلَى الرُّغمِ مِمَّنْ تَجَاهَلُوهُ وَأَبعَدُوا أَعمَالَهُ وَأَشْعَارَهُ...[٣٥]

إسماعيل مَرْوَة

[٣٥] . اسماعيل مروة: **البحيريُّ؛ موقفٌ ورسالة** . ص٢٦٧.

فِي أَثناءِ مُطَالَعَتِي لشُعَراءِ فِلَسْطِينَ اسْتَوقَفَنِي شَاعِرٌ جَدِيرٌ بِأَن يُتَوَّجَ أَميراً عَلَى عَرْشِ الشِّعرِ العَرَبِيِّ الفِلَسْطِينِيِّ المُتَمَيِّزِ، هَذَا الشَّاعِرُ هُوَ **حسنُ البحيريُّ**، ابْنُ حَيْفَا وَشَاعِرُهَا الَّذِي جَاءَ عَلَى الرُّغْمِ مِن حَدَاثَةِ سِنِّهِ وَبالنِّسْبَةِ لِمَنْ عَاصَرَهُ مِن الشُّعَرَاءِ، بِإِبْدَاعٍ شِعريٍّ لا مَثِيلَ لَهُ، وَلا أُغَالِي فِي ذَلِكَ فَلَقَدْ حَفِلَ شِعْرُهُ بِعِشْقٍ قُدْسِيٍّ لِلوَطَنِ؛ **فِلَسْطِينَ**[٣٦].

صبري يوسف دياب

[٣٦]. صبري يوسف دياب: **الوطنيَّة في شعر حسن البحيري**. ص٢٠.

يَنْطَلِقُ الشَّاعِرُ فِي الاتِّجَاهِ الدِّيْنِيِّ مِنْ تَصَوُّرٍ دِيْنِيٍّ فِي نَظْرَتِهِ إِلَىٰ الكَوْنِ والإِنْسَانِ وَالْحَيَاةِ، وَفِيْ نَظْرَتِهِ إِلَىٰ القَضَايَا وَالأَحْدَاثِ، وَالأَشْخَاصِ وَالْمُشْكِلاتِ، وَفِي تَعْبِيْرِهِ عَنْ العَوَاطِفِ وَالْمَشَاعِرِ. وَمِنْ أَبْرَزِ شُعَرَاءِ هٰذا الاتِّجَاهِ فِيْ فِلَسْطِيْنَ، حَسَبَ التَّسَلْسُلِ الزَّمَنِيِّ خَمْسَةُ شُعَرَاءَ مِنْ بَيْنَهِمْ **حَسَنُ البُحَيْرِيُّ**[٣٧].

الدُّكتور محمد عطوات

[٣٧]. الدكتور محمد عطوات: **الاتجاهات الإسلامية في الشعر الفلسطيني المعاصر**.

لَمْ يَكُنْ شِعْرُ الْمَنْفَى كَمَا سَمَّاهُ يُوْسُفُ الْخَطِيْبُ، أَقَلَّ شَأناً مِنْ شِعْرِ الْمُعْتَقَلِ، وَقَدْ أُتِيْحَ لِيْ أَنْ أَعْرِفَ عَنْ قُرْبٍ صَنَّاجَةَ فِلَسْطِيْنَ **حَسَنَ الْبُحَيْرِيَّ** رَحِمَهُ الله، وَكَانَ فِي أَوَاخِرِ أَيَّامِهِ يَعْمَلُ مُدَقِّقاً لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ فِيْ هَيْئَةِ الإِذَاعَةِ وَالتِّلِفزْيُوْنَ السُّوْرِيَّةِ، وَكُنْتُ يَوْمَهَا أَحَدَ الْمَسْئُوْلِيْنَ فِيْ الهَيْئَةِ، وَأَذْكُرُ غِيْرَتَهُ عَلَىٰ اللُّغَةِ، وَحُزْنَهِ الشَّدِيْدَ حِيْنَ يَقَعُ خَطَأٌ نَحْوِيٌّ عَلَىٰ أَلْسِنَةِ الْمُذِيْعِيْنَ وَالْمُذِيْعَاتِ، وَكُنْتُ أُشَارِكُهُ هٰذا الحِرْصَ عَلَىٰ لُغَتِنَا العَرَبِيَّةِ، لأَنَّهَا الوَطَنُ الأُمُّ الَّذِيْ إِنْ فَقَدْنَاهُ فَقَدْنَا انْتِمَاءَنَا إِلَىٰ العُرُوْبَةِ، وَكَانَ **البُحَيْرِيُّ** مُغْرَماً بِالْجِرْسِ الشِّعْرِيِّ[٣٨].

الدُّكتور رياض نعسان آغا

[٣٨] . الدكتور رياض نعسان آغا وزير الثقافة السوري الأسبق في إحدى دراساته المنشورة في مجلة المعرفة.

حَسَـــنُ البُحَيْـــرِيُّ... شَـــاعِرٌ خَطَفَـــهُ الحَاضِـــرُ مِـــنَ الْمَاضِـيْ، وَمَثَّـلَ لُغَتَنَـا العَرَبِيَّـةَ خَيْـرَ تَمْثِيْـلٍ: نَقَـلَ لَنَـا زَهْـوَ اللُّغَـةِ بِسِـحْرِهَا وَبَيَانِهَـا وَاشْـتِقَاقَاتِهَا، تِلْـكَ الاشْـتِقَاقَاتِ الَّـتِي كَانَـتِ الحَامِـلَ الأَهَـمَّ لِلُغَتِنَـا وَجَمَالِيَّتِهَـا، وَلُيُوْنَـةِ اسْـتِخْدَامِهَا لَـدَى الشُّـعَرَاءِ وَالكُتَّـابِ بِمَـا تَوَافَـقُ مِزَاجَـهُ، وَوِجْدَانَـهُ، وَمُخَيِّلَتَـهُ، بِحَيْـثُ لا تُوَازِيْهَـا لُغَـةٌ أُخْـرَىٰ فِيْ الـدُّنْيَا وَلا تُجَارِيْهَـا جَمَـالاً وَلا قُـوَّةً، ولا عُذُوْبَـةً. لَقَـدْ ذَهَـبَ **البُحَيْـرِيُّ** الشَّـاعِرُ الْمُتَجَـذِّرُ فِي الأُصُـوْلِ، السَّـبَّاقُ فِي الْمُعَاصَـرَةِ إِلَىٰ اسْـتِنْبَاطِ اشْـتِقَاقَاتٍ رَائِعَـةِ السِّـحْرِ وَالرَّوْعَـةِ ضِـمْنَ أَمَاكِنِهَـا، وَجَعَـلَ مِـنْ حَيْفَـا ذَاكَ الصُّـعُوْدَ الْهَائِـلَ لِلْمَكَـانِ وَاللُّغَـةِ وَالزَّمَـانِ رِقَّـةً وَاسْتِئْنَاسـاً بِتَصَـادُقٍ مَـعَ لُغَـةٍ وَوَطَـنٍ أَعَـزَّ شَـأْنَهُمَا، وَرَفَعَهُمَـا رِفْعَـةَ الْمَجْدِ وَالسُّؤْدُدِ لِيَكُوْنَ الْمُفْرَدَ الْمُتَمَيِّزَ فِيْ ذَلِكَ.

وَإِذَا كَـانَ **البُحَيْـرِيُّ** إِنْسَـاناً ذَوَّبَـهُ الـوَطَنُ بِجُنُـوْنِ الوَجْـدِ، وَشَـاعِراً صَـاغَ القَصِـيْدَةَ الفَائِقَـةَ فِي قُـوَّةِ سَـبْكِهَا وَبِنَائِهَـا، وَجَذَالَـةِ أَلْفَاظِهَـا، وَدِقَّـةِ تَعَابِيْرِهَـا، وَرِقَّـةِ حَوَاشِـيْهَا، إِذَا كَـانَ **البُحَيْـرِيُّ**... قَـدْ أُغْمِـطَ حَقُّـهُ مَكَانَـةً لائِقَـةً وَقِيْمَـةً وَشِـعْراً، فَمِثْلُـهُ فِي نَزِيْفِـهِ الشِّـعْرِيِّ وَرَوْعَتِـهِ... مِثْـلَ اللؤْلُـؤِ الْحَقِيْقِـيِّ النَّـادِرِ، وَلأَنَّـهُ نَـادِرٌ، فَـإِنَّ عَقْلِيَّـةَ مُسْـتَهْلِكِي العَصْـرِ

الاصْـطِنَاعِيِّ بِجُمْلَتِـهِ أَحَلُّـوا مَحَلَّـهُ ذَاكَ اللؤَلـؤَ الْمُصْـطَنَعَ الْمُزَيَّـفَ!!؟ وهٰـذا مَـا كَـانَ فِيْ حَـدَائِقِ الشِّـعْرِ وَالإِلْهَـامِ بِالـذَّاتِ، وَذَاكَ مَـا حَصَـلَ عَلَـىٰ سَـاحَةٍ اسْـتَبْدَلَتْ كِبْرِيَـاءَ وُجُوْدِهَـا، وَمَوْجُوْدَاتِهَـا، وَخَصَائِصِـهَا الرَّائِعَـةِ، بِقُشُـوْرِ حَضَـارَةٍ عَصْـرٍ زَائِفَـةٍ وَمُزَيَّفَـةٍ!!! ولٰكِـنْ... هٰـذا لَـنْ يَسْـتَمِرَّ طَـوِيلاً، لأَنَّ الغَوَّاصِـيْنَ الْمَـاهِرِيْنَ فِيْ أَدَبِنَـا الْخَالِـدِ... سَـيَعُوْدُوْنَ للأُصُـوْلِ وَالْجُـذُوْرِ، وَسَـيُعِيْدُوْنَ الْحَـرَارَةَ الْمُمَجِّـدَةِ للؤْلُـؤِ الشِّـعْرِ الْحَقِيْقِـيِّ، وَعِنْـدَهَا يَكُـوْنُ **البُحَيْـرِيُّ**، وَأَمْثَالُـهُ قَـدْ عَـادُوا لِلْوَاجِهَـةِ الْمُتَقَدِّمَـةِ الَّـتِيْ يَسْـتَحِقُّوْنَهَا عَلَـىٰ مُسْـتَوَى إِنْسَـانِيَّتِهِمْ وَشِـعْرِيَّتِهِمْ وَإِبْـدَاعِهِمْ، إِكْرَامـاً لِثَقَافَـةٍ تَنْهَـارُ وَتَضِـيْعُ عَلَـىٰ أَيْـدِي العَـابِثِيْنَ، وَشِـعْرٍ يَفْقِـدُ مَعْنَـاهُ وَمَعْنَـاهُ، وَبَيَانَـهُ عَلَـىٰ أَيْدِيْ سَمَاسِرَةِ الكَلامِ العَابِرِ، وَمُدَّعِيي الثَّقَافَةِ العَابِرِيْن!

الشاعر محمود حامد

الفصل السابع
أشعار في البحري

يا طائراً[٣٩]

شعر أحمد رامي

يَـــا طَـــائِرَاً مِـــنْ سَـــمَاءِ حَيْفَـــا
لَقِيـــتَ فِـــي ظِـــلِّ مِصْـــرَ إِلْفَـــا

إِذَا تَسَـــــــاجَلْتُمَا الأَغَـــــانِي
تَمَايَـــلَ الغُصْـــنُ ثُـــمَّ رَفَّـــا

لَقَـــــدْ تَعَارَفْتُـــــمَا وِدَادَاً
ثُـــــمَّ تَبَادَلْتُـــــمَاهُ عطْـــــفَا

فُمُهْجَـــــةٌ تَلْتَقِـــي بِـــأُخْرَى
وَطَيـــــفُ رُوحٍ يَضَـــــمُّ طَيفَـــا

* * *

[٣٩] . حسن البحيري: أفراح الربيع . مطبعة الصباح . دمشق . ط٢ . ١٩٩٠م . ص٤.

لكَ شِعْرٌ

شعر أحمد محفوظ

إِلَى الشَّاعِرِ الَّذِي أَيْقَظَ قَلْبِي مِن
غَفْوَتِهِ، الأُسْتَاذ **حَسَن البحيريِّ**[٤٠]:

لَــكَ شِــعْرٌ أَرَقُّ مَــنْ نَفْحَــةِ الــوَرْدِ
وَمِــــنْ هَمْسَــــةِ النَّجِــــيِّ الوَلُــــوعِ

هَلْهَلَــتْ نَسْــجَهُ نَسَــائِمُ (حَيْفَــا)
وَسَــــقَاهُ الصَّــــفَا مِــــنَ اليَنْبُــــوعِ

عَــادَ لِــي بِالشَّــبَابِ وَاللَّهْــوَ وَالْحُــبِّ
وَهَــــزِّ الفُــــؤَادِ بَــــينَ الضُّــــلُوعِ

---

٤٠ . الأصائل والأسحار . م.س . ص٨.

وَسَـــقَانِي بِكَأسِـــهِ صَـــبْوَةَ العَاشِـــقِ
وَالوَالِـــــهِ الغَزَيـــــرِ الـــــدُّمُوعِ

لَـــيسَ عِنْـــدِي لِســـحْرِهِ غَيـــرَ مَـــدْحِي
وَثَنَـــــائِي لِحُسْـــــنِهِ وَالبَـــــدِيعِ

★ ★ ★
★ ★

أيُّها العاصرُ أخلاف النُّجوم

شعر عزِ الدّين علي السيّد

أيُّهـــا العاصـــرُ أخـــلاف النُّجـــومْ
صـــائغاً أَلحانـــه مـــن نورهـــا
إنَّهـــا صـــهباءُ أَصـــحاب الهـــمومْ
تـــرقص النَّشـــوة فـــي أَقطارهـــا

★ ★ ★

تلـــك يـــا ســـائلُ عـــن درِّ الكنـــوزْ
بـــدرة أَعمـــت عيـــون النَّاقـــدِ
كـــم إليهـــا أَنحـــلَّ ســـحرٌ ورمـــوزْ
بالغـــتْ فيـــها بنـــانُ العاقـــدِ

★ ★ ★

حَسَـــنٌ صـــوَّر مـــن ذوب الشـــعورْ
روعـــة الفـــنِّ بكـــفِّ الـــمبدعِ
روحـــه قـــد لبســـت تلـــك الســـطورْ
هكـــذا شـــعرُ الشَّـــباب الأَلـــمعي[٤١]

★ ★ ★
★ ★

[٤١] . م.س . ص٩.

يا شاعرَ الحبِّ والجمال

شعر عزّت السَّيد أحمد

يَا شَـــــاعِرَ الْحُبِّ وَالْجَـمَالِ
أَسْكَرْتَ مِنْ شَـدْوِكَ اللَّيَالِي

أَوْدَعْتَ فِي شِـــــعْرِكَ الْحَنَانَا
يُشْفَى بِهِ كُلُّ ذِي اعْتِــلالِ

أَعَــدْتَ لِي عَــذْبَ ذِكْرَيَاتِي
أَعَــدْتَ أَحْـلاَمِيَ الْخَــوَالِي

فَأَنْــتَ بِالسِّــــحْرِ لا الأَمَانِي
مَلَكْــتَ مِنِّي رُؤَى خَــيَالِي

فَكُلَّـمَا يُذْكَــرُ (البُحَيريْ)
تَطُوفُ أَحْـلَى الـمُنَـى بِبَالِي

نَظَـمْتَ مِن رَائِـعِ الـمَعَانِي
قَصَـائِدَاً مِن رُبَى الْجَـلالِ

بِأَحْــرُفِ النُّورِ سَــطَّرَتْهَا
فَخْرَاً يَدُ الْحُسْــنِ وَالْكَمَالِ

مُخْضَلَّةَ السِّــحْرِ مُسْــتَدِيْمَاً
لِلْوَصْلِ رَيَّانَــةَ الظِّــلالِ

أَبْيَــاتُهَا خَمْرَةُ الْجِــنَان
أَعْنَــابُهَا صَفْوَةُ الْجَــمَالِ

أَفْيَاؤُهَا آيَــةُ الـهِــيَامِ
أَكْرِمْ بِهَا سِــدْرَةَ الوِصَالِ

أَلْفَاظُهَا السَّـوْسَنُ الـمُنَدَّى
بِالعِـــطْرِ لألاَءَةَ الْخِـــلالِ

حَمَّلْتَهَـــا رِقَّـــةً وَإِلْـفَا
يَجْلُو صَفَــاهَا دُجَــى التَّبَالِي

تَفِيضُ سِـــحْرَاً، تُشِعُّ فِكْرَاً
تَضُـــوعُ مِنْ أَجْلِهَا الغَــوَالِي

★ ★ ★

يَا نَاظِمَ الْحُسْـــنَ بِالطِّلال
سَكَبْتَ مِنْ شِـــعْرِكَ الطِّلا لِي

فَرُحْـتُ مِنْ نَشْـوَتِي أُنَادِي
يَا لَيْتَ فِي سَـــكْرَتِي التَّوَالِي

★ ★ ★

أَعُوْدُ فِي هٰذِهِ الخَاتِمَةِ إِلَىٰ نُقْطَةٍ خَتَمْتُ بِهَا مُقَدِّمَةَ هٰذَا الْكِتَابَ وَهِيَ ضَرُوْرَةُ العَوْدَةِ إِلَىٰ **البُحَيْرِيِّ** وَشِعْرِهِ.

تَنْبُعُ ضَرُوْرَةُ العَوْدَةِ إِلَى **البُحَيْرِيِّ** وَشِعْرِهِ مِنْ أَرْبَعَةِ عَوَامِلَ مُتَفَاصِلَةٍ، كُلٌّ مِنْهَا لَهَا خُصُوْصِيَّتُهُ وَأَهَمِّيَّتِهِ.

العَامِلُ الأَوَّلُ مِنْ عَوَامِلِ ضَرُوْرَةِ العَوْدَةِ إِلَىٰ **البُحَيْرِيِّ** وَشِعْرِهِ هُوَ أَنَّنَا فِيْ هٰذَا الْكِتَابِ، وَفِيْ الْكُتُبِ الَّتِيْ نُشِرَتْ عَنْهُ، وَقَدْ أَشَرْنَا إِلَيْهَا، وَقَفَتْ عِنْدَ جَوَانِبَ وَاحْتِمَالاتٍ وَحَالاتٍ كُلِّهَا تَسْتَحِقُّ الإِكْمَالِ وَالتَّوَسُّعِ. مَا تَنَاوْلْتُهُ فِي هٰذَا الْكِتَابِ مِنْ جَوَانِبِ عِنْوَانِهِ الثَّلاثَةِ لَيْسَ إِلا غَيْضاً مِنْ فَيْضٍ، وَكَذٰلِكَ أَمْرُ الكُتُبِ الأُخْرَىٰ الَّتِيْ نُشِرَتْ عَنِ **البُحَيْرِيِّ** فَقَدْ تَنَاوَلَتْ جَوَانِبَ تَسْتَحِقُّ الْمُتَابَعَةَ أَيْضاً.

العَامِلُ الثَّانِيْ هُوَ أَهَمِّيَّةُ الشَّاعِرِ عَلَىٰ الْمُسْتَوَىٰ التَّارِيخِيِّ وَالإِبْدَاعِيِّ وَهٰذَا أَمْرٌ يَتَعَذَّرُ الطَّعْنُ فِيْهِ حَتَّىٰ وَإِنْ وُجِدَ مَنْ يَطْعَنُ أَوْ يُفَكِّرُ فِي الطَّعْنِ فِيْ هٰذَا الأَهَمِّيَّةِ. قِيْمَةُ **البُحَيْرِيِّ** وَسِيْرَتُهُ مَادَّةٌ غَنِيَّةٌ وَوَاسِعَةٌ لِتَنَاوُلِهَا بِأَبْحَاثٍ وَكُتُبٍ كَثِيْرَةٍ وَهِيَ بِذٰلِكَ جَدِيْرَةٌ.

العَامِلُ الثَّالَثُ هُوَ أَنَّ شِعْرَ **البُحَيْرِيِّ** فِي حَقِيْقَةِ الأَمْرِ هُوِيَّةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مُتَمَايِزَةٌ شَأْنُهَا فِي ذٰلِكَ شَأْنَ هُوِيَّةِ أَشْعَارِ كِبَارِ شُعَرَاءِ العَرَبِيَّةِ عَبْرَ تَارِيْخِهَا الطَّوِيْلِ. شِعْرُ

البُحَيْرِيِّ مَدْرَسَةٌ مُسْتَقِلَّةٌ مُتَمَايِزَةٌ فِي صُوَرِهَا وَتَرَاكِيبَهَا وَأُسْلُوْبَهَا، وَهِيَ تَسْتَحِقُّ كَثِيْراً جِدًّا مِنَ الدِّرَاسَاتِ وَالأَبْحَاثِ الْمُطَوَّلَةِ لِتَنَاوُلِهَا وَمُنَاقَشَتِهَا وَاسْتِخْرَاجِ مَا فِيْهَا مِنْ جَمَالٍ مُبْدِعٍ مُنْقَطِعِ النَّظِيْرِ فِي تَارِيْخِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ. لا أَقُوْلُ إِنَّ شِعْرَ **البُحَيْرِيَّ** هُوَ الأَمْيَزُ، وَلا أَقُوْلُ هُوَ الأَجْمَلُ، وَلٰكِنَّهُ يَقِفُ بِكُلِّ تَأَكِيْدٍ فِي مَصَافِ كِبَارِ الشُّعَرَاءِ العَرَبِ الَّذِيْنَ يُمْكِنُ القَوْلُ إِنَّهُمْ يُعَدُّوْنَ عَلَىٰ الأَصَابِعِ.

العَامِلُ الرَّابِعُ مِنْ عَوَامِلِ ضَرُوْرَةِ وَأَهَمِّيَّةِ تَنَاوُلِ شِعْرِ **البُحَيْرِيِّ** هُوَ الإِنْصَافُ الَّذِيْ يَسْتَحِقُّ **البُحَيْرِيُّ**، فَعَلَىٰ جَلِيْلِ الشِّعْرِ الَّذِيْ أَبْدَعَهُ، وَعَلَىٰ خُصُوْصِيَّتِهِ الَّتِي يَسْتَحِقُّ عَلَيْهَا التَّقْدِيْرَ، وَعَلَىٰ تَفَرُّدِهِ فِي شِعْرِهِ الرَّائِعِ... فَإِنَّهُ لَمْ يُنْصَفْ أَبَداً فِيْ حَيَاتِهِ، وَلَمْ يُقَدَّرْ حَقَّ تَقْدِيْرِهِ، وَلٰذَلِكَ يَجِبُ إِنْصَافُهُ وَوَضْعُهُ فِي مَكَانَتِهِ السَّامِيَةِ الَّتِيْ يَسْتَحِقُّهَا بِجَدَارَةٍ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُوْنَ قَدْ حَالَفَنِيْ التَّوْفِيْقُ فِيْمَا قَدَّمْتُ وَفِيْمَا خَتَمْتُ وَفِيْمَا بَيْنَهُمَا مِنْ مُنَاقَشَةٍ وَعَرْضٍ وَتَحْلِيْلٍ.

صَدَرَ لِلمُؤَلِّف

- أعاجيب السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- أسس التوثيق؛ نحور نظرية عربية في التوثيق . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- آفاق التغير الاجتماعي والقيمي؛ الثورة التقانية والتغير القيمي . الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- آفاق التمدد الفارسي . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الأمم المتحدة بين الاستقلال والاستقالة والترميم . دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م.
- أَميرة النَّار والبحار (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٧م.
- أَنا صدى الليل (شعر) . دار الأَصالة للطباعة – دمشق – ١٩٩٥م.
- أنا لست عذري الهوى (شعر) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٩م.
- أنا والزمان خصيمان . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- أنا وعيناك صديقان (شعر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠١م.
- أُنشودة الأَحزان (شعر) – دار الأصالة للطباعة – دمشق . ١٩٩٦م.
- انهيار أسطورة السلام؛ مصير السلام العربي الإسرائيلي . ط١: مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٦م. ط٢: دار الفكر الفلسفي . دمشق . الطبعة الثانية ٢٠٠١م.
- انهيار إنسانية الإنسان . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.

- انهيار الشعر الحر – دار الثقافة – دمشق (ط١) ١٩٩٤م. ـ دار الفكر الفلسفي . دمشق – (ط٢) ٢٠٠٣م.
- انهيار دعاوى الحداثة – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٥م.
- انهيار قيم المعارضة العربية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- انهيار مزاعم العولمة؛ قراءة في تواصل الحضارات وصراعها . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٠م.
- انهيار النظام العربي . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- بديع الكسم . وزارة الثقافة . دمشق – ١٩٩٤م.
- بشرية عمياء عرجاء؛ مقالات سياسية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- تصنيف المقولات الجمالية . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- تطوير التعليم العالي؛ الواقع والمشكلات والمقترحات . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- تفجيرات أيلول وصراح الحضارات؛ الولايات صنعت الحدث لتصنع المستقبل . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٣م.
- تمهيد في علم الجمال . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.
- الثوار والمعارضة والثورة السورية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية والمؤامرة الكونية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الثورة السورية وأزمة القيادة . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- الثورة السورية والحلول التهريجية . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.

- الثورة السورية والنظام السوري . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الجمال وعلم الجمال . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ط٢، ٢٠١٣م.
- الحداثة بين العقلانية واللاعقلانية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- الحرب على الدولة الإسلامية . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- حوار في الذاكرة بيني وبنيتي . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- خطر نجاح الإسلام في السلطة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- الدخيل على المصلحة (قصص) – ن . م – دمشق – ١٩٩٣م.
- دفاع عن الفلسفة ؛ الفلسفة ثرثرة أَم أُمُّ العلوم ؟ – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- رئيس وأربعة فراعين .. دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- شظايا على الجداران (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- العالم على البركان . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- العالم في مواجهة الإسلام . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- عالم مجنون؛ المضحك المبكي في السياسة الأمريكية . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٨م.
- العدوان الأمريكي على سوريا . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العدوان الروسي على سوريا . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٦م.
- العرب أعداء أنفسهم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٤م.

- العرب جثة تنهشها الكلاب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٩م.
- عفيف البهنسي والجمالية العربية . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- علم الجمال الإعلاني . دار حدوس وإشراقات . عمان/ الأردن . ٢٠١٣م.
- علم الجمال المعلوماتي: نحو نظريَّة جديدة . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- عواد من دون عود (قصص) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- غاوي بطالة (قصص قصيرة) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٦م.
- الغرب الجاني على نفسه . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- فلسفة الفن و الجمال عند ابن خلدون – دار طلاس – دمشق – ١٩٩٣م.
- فلسفة الفن والجمال عند التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٦م.
- فلسفة الأخلاق عند الجاحظ . اتحاد الكتاب العرب . دمشق . ٢٠٠٥م.
- في انتظار حمقاء (قصص قصيرة) . دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٥م.
- فيلا وعلبة حلاوة (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة – دمشق – ٢٠٠٧م.
- قراءات في فكر بديع الكسم . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- قراءات في فكر عادل العوا . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠١م.
- قضايا الفكر العربي المعاصر . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٧م.

- كتابة البحث؛ المفاهيم والقواعد والأصول . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠١١م.
- الكل يطلق المار النار على السوريين وثورتهم . دار العالم العربي . بيروت . ٢٠١٥م.
- كيف ستواجه أمريكا العالم؟ . دار السلام للطباعة . دمشق . ١٩٩٢م.
- لا تعشقيني (شعر) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- لبنان والمشروع الأمريكي؛ قراءة في الأزمة اللبنانية وتداعياتها . دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م.
- لبنان بَيْنَ حربين؛ الأزمة اللبنانية بَيْنَ الداخل والخارج . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٧م.
- لوحات من ألم الثورة . دار أنهار . بيروت . ٢٠١٤م.
- مختارات من دارسي التراث العربي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠٧م.
- المدخل إلى عصر النهضة العربية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- المذاهب الاقتصادية الكبرى . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٨م.
- المذاهب الجمالية . جامعة تشرين . اللاذقية . ٢٠٠٦م.
- مكيافيليَّة ونيتشويَّة تربوية: نحو سلوك تربوي عربي جديد . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٨م.
- ملحمة المجانين (ملحمة شعرية) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.
- من رسائل أبي حيان التوحيدي . وزارة الثقافة . دمشق . ٢٠٠١م.

- من يسمم الهواء؛ ظاهرة السرقة في عالمي الفكر والأدب . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ٢٠٠٥م.
- الموت من دون تعليق (قصص قصيرة جداً) – دار الأصالة للطباعة . دمشق . ١٩٩٤م.
- النظام الاقتصادي العالمي الجديد . مكتبة دار الفتح . دمشق . ١٩٩٣م .
- النظام الاقتصادي العربي؛ واقع ومشكلات ومقترحات . ط١: دار إنانا . دمشق . ٢٠٠٥م. ط٢: دار إنانا ٢٠١٠م.
- نهاية الفلسفة . دار الفكر الفلسفي . دمشق . ١٩٩٩م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا – دار الثقافة – دمشق – ١٩٩٤م.
- هؤلاء أَساتذتي : من رواد الفكر العربي المعاصر في سوريا (ط٢) – دار الفكر الفلسفي – دمشق – ٢٠٠٣م.
- همس الهوى (خواطر) دار الأصالة للطباعة . دمشق . ٢٠٠٨م.
- وظيفة الفن . حدوس وإشراقات للنشر . عمان . ٢٠١٣م.
- يصغر أمامك الكلم (شعر) . دار حدوس وإشراقات . عمان . ٢٠١٥م.

فهرس

- **الإهداء** ٠٠٥
- **مقدمة الكتاب** ٠٠٧
- **الفصل الأول**: البحيري سيرة وتاريخ ٠١٥
  - ★ مقدمة ٠١٧
  - ★ في سيرة البحيري ٠١٧
  - ★ مؤلفات البحيري ٠٢٢
  - ★ كتب عن البحيري ٠٢٣
  - ★ خاتمة ٠٢٣
- **الفصل الثاني**: البحيري عبقرية فريدة ٠٢٧
  - ★ مقدمة ٠٢٩
  - ★ في التحصيل ٠٣٠
  - ★ نبوغة المبكر ٠٣١
  - ★ الإبداع المبكر ٠٣٣
  - ★ في أسلوبه الشعري ٠٣٥

■ **الفصل الثالث**: البحيري الغريب بين أهله ٠٣٩

■ **الفصل الرابع**: البحيري صانع الجمال ٠٥١

■ **الفصل الخامس**: عاش غريباً ومات غريباً ٠٦٩

■ **الفصل السادس**: شهادات في البحيري ٠٧٩

★ الدكتور حسام الخطيب ٠٨١

★ هارون هاشم رشيد ٠٨٢

★ هارون هاشم رشيد ٠٨٣

★ الدكتور ناصر الدين الأسد ٠٨٤

★ عبد الهادي البكار ٠٨٥

★ الدكتور نسيب نشاوي ٠٨٦

★ إسماعيل مروة ٠٨٧

★ صبري يوسف دياب ٠٨٨

★ الدكتور محمد عطوات ٠٨٩

★ الدكتور رياض نعسان آغا ٠٩٠

★ محمود حامد ٠٩١

■ **الفصل السابع**: خيانة المثقف والمعارضة العربية ٠٩٣
★ أحمد رامي ٠٩٥
★ أحمد محفوظ ٠٩٦
★ عز الدين عاي السيد ٠٩٨
★ عزت السيد أحمد ١٠٠
■ **خاتمة** ٢٢٩
■ **صدر للمُؤَلف** ٢٣٣
■ **المحتويات** ٢٣٩

ALBUHAYRY
GENIUS, EXILE AND BEAUTY

BY PROF.DR. EZZAT ASSAYED AHMAD

Published By DAR ANHAR

Beirut. 2016

Emil: sameah3@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة
دار أنهار للنشر
ALL RIGHTS RESERVED

يَا شَـــاعِرَ الْحُبِّ وَالْجَـمَالِ
أَسْكَرْتَ مِنْ شَـدْوِكَ اللَّيَالِي
أَوْدَعْتَ فِي شِـــعْرِكَ الْحَنَانَا
يُشْفَى بِهِ كُلَّ ذِي اعْتِـلالِ
أَعَـدْتَ لِي عَـذْبَ ذِكْرَيَاتِي
أَعَـدْتَ أَحْلاَمِيَ الْخَـوَالِي
فَأَنْـتَ بِالسِّـــحْرِ لا الأَمَانِي
مَلَكْـتَ مِنِّي رُؤَى خَـيَالِي
نَظَـمْتَ مِن رَائِـعِ الـمَعَانِي
قَصَـائِداً مِن رُبَى الْجَـلالِ
بِأَحْـرُفِ النُّورِ سَـطَّرَتْهَا
فَخْراً يَدُ الْحُسْـنِ وَالْكَمَالِ
مُخَضَّلَةً السِّـحْرِ مُسْـتَدِيْمَاً
لِلْوَصْلِ رَيَّانَـةَ الظِّـلالِ
البحري
عقربية وغربة وغزال
الدكتور عزت السيد أحمد
دار الأمل
2016